عدو الشعب

مسرحية في خمسة فصول

مقلم
هنريك ابسن

٢

ترجمة
عصام صفدي

ـ تتمة المنشور في العدد الماضي ـ

الفصل الثالث

غرفة محرر « مراسل الشعب » ـ يوجد في المؤخرة ، الى اليسار ، باب للدخول ، والى اليمين باب اخر له الواح زجاجية تظهر من خلالها غرفة التنضيد . باب في الحائط الى اليمين . في منتصف الغرفة طاولة كبيرة مغطاة باوراق ، وجرائد وكتب . وفي المقدمة ، الى اليسار نافذة وقربها مقعد عال . زوج من الكراسي ذات الذراعين بجانب الطاولة، بعض الكراسي الاخرى بقرب الجدران . الغرفة قذرة المظهر وكئيبة ، والاثاث مهترىء والكراسي ذات الذراعين متسخة وممزقة . يرى المنضدون وهم يعملون في غرفة التنضيد ، والى الوراء توجد مطبعة يدوية في حالة عمل .

(هوفستاد جالس الى المقعد ، يكتب ، يحضر بيليخ من اليمين وتقرير الدكتور في يده .)

بيليخ ـ حسنا ، ينبغي القول بان ـ !

هوفستاد (وهو يكتب) ـ هل قراته كله ؟

بيليخ (يضع الاوراق على المقعد) ـ نعم ، لقد قراته .

هوفستاد ـ الا ترى ان الدكتور يبدو قويا ؟

بيليخ ـ قويا ! فلاضرب حتى الموت ان لم يكن ساحقا ! ان كل كلمة تقع مثل ـ مثل المطرقة .

هوفستاد ـ نعم ، ولكن هؤلاء الاشخاص لايتحطمون من الضربة الاولى .

بيليخ ـ صحيح جدا ! ولكننا سنظل نضرب ، ضربة بعد ضربة ، حتى يسقط الروتين كله محطما . لقد بدا لي ، حين كنت اقرأ التقرير ، انني اسمع الثورة ترعد من بعيد .

هوفستاد (يستدير) ـ هه! لا تدع اسلاكسن يسمع هذا !

بيليخ (في صوت اكثر انخفاضا) ـ ان اسلاكسن جبان ، هلوع ، وليست فيه اية شرارة من الرجولة . ولكنك ستنال بغيتك هذه المرة بالتاكيد . هل ستطبع تقرير الدكتور ؟

هوفستاد ـ نعم ، ان لم يذعن العمدة ـ

بيليخ ـ ستكون مضايقته شيطانية .

هوفستاد ـ نستطيع ، لحسن الحظ ، ان نستفيد من الموقف ، مهما حدث . ان لم يوافق العمدة على مقترحات الدكتور فستكون كل الطبقة الوسطى الدنيا ضده ـ جمعية ملاكي الدور جميعا ، والاخرون . وان وافق عليها فسوف يهزم هو وكل عصبة كبار اصحاب الاسهم في الحمامات ، الذين كانوا حتى الان سنده الرئيسي.

بيليخ ـ نعم ، طبعا ! فانهم سيضطرون بلا شك الى انفاق مبلغ من النقود .

هوفستاد ـ يمكن ان نكون متاكدين من هذا . وعندما تتحطم الحلقة ، الا ترى انه ينبغي ان نكرر القول للجماهير يوميا ان العمدة غير كفؤ من جميع الوجوه ، وان كل المراكز ذات المسؤولية في البلدة ، أعني كل الحكومة البلدية ، يجب ان يعهد بها لقوم ذوي افكار تحررية .

بيليخ ـ فلاضرب حتى الموت ان لم تكن هذه هي الحقيقة الواضحة ! انني اراها ـ انني اراها ! اننا في عشية ثورة !

(يسمع نقر على الباب .)

هوفستاد ـ هه ! (ينادي) تفضل .

(يدخل الدكتور ستوكمان من الخلف ، اليسار .)

هوفستاد (يتجه اليه) ـ آه ، هاهو الدكتور . حسنا ؟

الدكتور ستوكمان ـ اطبع فورا ، سيد هوفستاد !

هوفستاد ـ هل آل الامر الى هذا ، اذن ؟

بيليخ ـ مرحى !

الدكتور ستوكمان ـ اطبع فورا . لقد آل الامر الى هذا بكل تاكيد. ان كان هذا مايريدونه فلهم مايريدون . لقد اعلنت الحرب ، سيد بيليخ !

بيليخ ـ حرب عوان ! حرب حتى الموت ، دكتور !

الدكتور ستوكمان ـ هذا التقرير ليس الا بداية . لقد صممت اربع او خمس مقالات اخرى من قبل . ولكن اين اسلاكسن ؟

بيليخ (ينادي متجها الى غرفة الطباعة) ـ اسلاكسن . تعال هنا لحظة .

هوفستاد ـ اربع او خمس مقالات اخرى ، اه ؟ في نفس الموضوع ؟

الدكتور ستوكمان ـ كلا ابدا ياعزيزي ، فهي تعالج امورا مختلفة جدا . ولكنها تدور كلها حول منشآت المياه ومسالة المصرف . وكل شيء يؤدي الى اخر . والمسالة مثل البدء بهدم دار قديمة .

بيليخ ـ فلاضرب حتى الموت ان لم يكن هذا صحيحا ! فالمرء يشعر انه لايستطيع ان ينفض يديه حتى يصبح سقط المتاع ركاما .

اسلاكسن (يدخل من غرفة الطباعة) . تسقط ركاما ! بالتاكيدلايفكر الدكتور في هدم الحمامات ركاما ؟

هوفستاد ـ كلا ، ابدا . لاترتعب .

الدكتور ستوكمان ـ كلا ، لقد كنا نتحدث عن شيء مختلف تمام

الاختلاف . حسنا ، مارأيك في تقريري ، سيد هوفستاد ؟

هوفستاد ـ انه فريد ـ

الدكتور ستوكمان ـ أليس كذلك ؟ ان هذا يسرني كثيرا .

هوفستاد ـ انه واضح تمام الوضوح ، ومباشر ، فليس المرء بحاجة الى ان يكون احصائيا حتى يفهم زبدته . وانا واثق ان كل شخص ذكي سيقف الى جانبك .

أسلاكسن ـ وآمل ان يكون هذا موقف كل شخص حكيم ايضا .

بيليخ ـ في الحقيقة ـ كل الحكماء وغير الحكماء ، كل البلدة تقريبا .

اسلاكسن ـ اذن اعتقد انه يمكن المخاطرة بنشره ؟

الدكتور ستوكمان ـ اظن ذلك .

هوفستاد ـ سينشر غدا .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، فينبغي الا نضيع الوقت . واود ان اسألك يا سيد اسلاكسن ، ان تشرف شخصيا على طباعته بنفسك.

اسلاكسن ـ بكل سرور ..

الدكتور ستوكمان ـ احرص عليه وكأنه ذهب . لا أخطاء مطبعية ، فكل كلمه هامة . سأرجع فورا ! ربما نتمكن من ان تريني مسودة . ـ آه! لا استطيع ان اخبركم كم اتوق لرؤيته مطبوعا ـ ان اراه ينفجر ـ

بيليخ ـ كالصاعقة !

الدكتور ستوكمان ـ وان يطرح لحكم المواطنين الاذكياء . انكم لاتتصورون ما علي ان احمله اليوم . لقد وجهت لي جميع انواع التهديدات . كنت سأسلب ابسط حقوقي كانسان ـ

بيليخ ـ ماذا ! حقوقك كانسان !

الدكتور ستوكمان ـ وأرادوا لي ان أهين نفسي وان اسف النراب ، أرادوا لي ان اضع مصالحي الشخصية فوق أعمق وأقدس معتقداتي ـ

بيليخ ـ فلاضرب حتى الموت ، ان لم يكن هذا مثيرا للغاية .

هوفستاد ـ وماذا يمكن ان نتوقع من امثال هؤلاء ؟

الدكتور ستوكمان ـ ولكنهم سيجدون انهم كانوا مخطئين ، وسيتحققون من هذا . سأكرس نفسي للحرب كل يوم في « المراسل » ،وسأقذفهم بمقال ينفجر اثر مقال ـ

اسلاكسن ـ نعم ، ولكن ـ

بيليخ ـ مرحى ! انها الحرب ! الحرب !

الدكتور ستوكمان ـ سألقي بهم ارضا ، وسأسحقهم ، وسأسوي تحصيناتهم بالتراب على مشهد من الجمهور الشريف ! ذلك ما سأفعله!

اسلاكسن ـ ولكن كن معتدلا قبل كل شيء ، دكتور ، اقذف باعتدال ـ

بيليخ ـ كلا ، كلا على الاطلاق ! لاتوفر المتفجرات !

الدكتور ستوكمان (يستمر برباطة جأش) ـ فانها ليست قضية منشآت ومصارف فحسب ، بل يجب ان يطهر المجتمع كله ، وان يشفى ـ

بيليخ ـ هذه كلمة الخلاص !

الدكتور ستوكمان ـ فلا يخفى عليكم انه يجب طرد كل عديمي الكفاءة في كل ميدان! لقد تفتحت امامي اليوم دروب لانهاية لها. لم اتبين كل شيء بوضوح بعد، ولكني سرعان ما اجد طريقي. ان حملة الرايات الشبان ، النشيطين هم من نحتاج اليهم ومن يجب ان نبحث عنهم ! يجب ان يكون لنا قادة جدد في كل المراكز الهامة .

بيليخ ـ اسمعوا ، اسمعوا !

الدكتور ستوكمان ـ وكل مانحتاجه هو ان نتآزر معا ، لتسير الامور بسهولة ، بسهولة تامة ! وستتخطى الثورة كل العقبات كسفينة تنساب فوق عباب المياه . فما قولك في هذا ؟

هوفستاد ـ اما بالنسبة لي فاعتقد ان لدينا الان كل الامل في وضع شؤوننا البلدية في الايدي الحقة .

اسلاكسن ـ واذا تقدمنا باعتدال ، فلا اتصور انه سيوجد خطر ..

الدكتور ستوكمان ـ ومن يبالي سواء كان هناك خطر ام لا ! اني افعل ما افعله باسم الحقيقة وفي سبيل ضميري .

هوفستاد ـ انت رجل يجب ان يؤيد ، دكتور .

اسلاكسن ـ نعم ، لاشك ان الدكتور صديق حقيقي للبلدة ، انني ادعوه صديق المجتمع .

بيليخ ـ فلاضرب حتى الموت ان لم يكن الدكتور ستوكمان صديقا للشعب ، اسلاكسن !

اسلاكسن ـ لاريب ان جمعيه ملاكي الدور ستتبنى هذا التعبير .

الدكتور ستوكمان (يصافحهم ، وعليه امارات التأثر العميق) ـ شكرا يا أصدقائي الاعزاء ، المخلصين . انه ليسرني ان اسمعكم . لقد لقبني شقيقي المحترم بلقب جد مختلف . لابأس ! ثقوا انني سأسدده مع الفائدة ! ولكن يجب ان اذهب الان لاعود مريضا مسكينا ـ ومع ذلك فسأحضر ثانية . تأكد من العناية بالمقالة ، سيد اسلاكسن ؟ ولا تحذف ايا من علامات التعجب لاي سبب كان ! بل اضف واحدة او اثنتين ! والان وداعا ، وداعا .

(يتبادلون التحيات فيما هم يصاحبونه حتى الباب . يخرج) .

هوفستاد ـ انه لايقدر بثمن بالنسبة لنا .

اسلاكسن ـ نعم ، طالما لزم مسألة الحمامات هذه . اما اذا تخطاها ، فليس من الحكمة اباعه .

هوفستاد ـ احم ـ هذا يعتمد كل الاعتماد على ـ

بيليخ ـ انت دوما جبان ، وموقفك محير جدا ، اسلاكسن .

اسلاكسن ـ جبان ؟ نعم ، عندما تكون المسألة مهاجمة السلطات المحلية ، فانا جبان ، سيد بيليخ ، ولكن اسمح لي ان اقول انني تعلمت الحذر في مدرسة التجارب . اما في السياسة العليا ، في الامور المتعلقة بالحكومة نفسها ، فعندها يمكن ان ترى فيما اذا كنت جبانا .

بيليخ ـ كلا ، لست بالجبان ، ولكن في هذا مناقضة لنفسك.

اسلاكسن ـ انني ، في الواقع ، عميق الاحساس بمسؤولياتي . فالمرء حين يهاجم الحكومة لا يلحق الضرر بالمجتمع ، لان المهاجمين لا يابهون فتيلا ، فهم يجلسون حيث هم ، على حد سواء . اما السلطات المحلية فيمكن طردها ، وعندها قد تأتينا هيئة ليست اهلا لتولي السلطة ، وهذه اساءة بالغة لاصحاب الدور وللناس الاخرين .

هوفستاد ـ وتثقيف المواطنين بواسطة الحكم الذاتي ـ الا تفكر بهذا ابدا ؟.

اسلاكسن ـ عندما تكون للمرء مصالح ـ راسخة يحميها ، فهو لا يستطيع التفكير بكل شيء ، سيد هوفستاد .

هوفستاد ـ اذن آمل الا تكون لي قط مصالح راسخة احميها .

بيليخ ـ اسمع ، اسمع !

اسلاكسن ـ احم (يشير الى المقعد مبتسما) ـ لقد كان الحاكم ستتجارد يجلس قبلك على مقعد المحرر هذا .

بيليخ (يبصق) ـ اف ! ذلك المنافق.

هوفستاد ـ انا لست مذبذبا ، ولن اكون ..

اسلاكسن ـ لا ينبغي للسياسي ابدا ان يكون شديد التأكد من اي

شيء ، سيد هوفستاد ـ اما انت يا سيد بيليخ فاعتقد انه ينبغي لك ان تطوي شراعك قليلا ما دمت قد تقدمت بطلب لوظيفة سكرتير مجلس البلدة .

بيليخ ـ انا !

هوفستاد ـ أهذا صحيح ، بيليخ ؟

بيليخ ـ حسنا ، نعم ، ولكن ، يا للشيطان ، لقد فعلت ذلك فقط لاغيظ المتبجحين .

اسلاكسن ـ ليس لي علاقة بهذا . أما اذا اتهمت بالجبن والتذبذب، فاني اود ان اشير الى ان ماضي السياسي مفتوح للجميع . فانني لم اتغير ابدا ، سوى انني اصبحت اكثر اعتدالا . ما زال قلبي من الشعب، ولكني لا انكر ان عقلي يميل نوعا ما الى السلطات ـ اعني السلطات المحلية . (يدخل غرفة الطباعة)

بيليخ ـ الا تعتقد اننا ينبغي ان نحاول التخلص منه ، هوفستاد ؟

هوفستاد ـ وهل تعرف شخصا اخر ينفق على الورق والطباعة ؟

بيليخ ـ اية مضايقة لعينة الا يكون لنا رأسمال !

هوفستاد (يجلس على مقعده) ـ نعم، فقط لو كان لنا ذلك، عندئذ ـ

بيليخ ـ لنفرض انك طلبت من الدكتور ستوكمان

هوفستاد (مقلبا بعض الاوراق) ـ وما جدوى ذلك ، انه لا يملك شيئا .

بيليخ ـ كلا ، ولكن وراءه شخص غني ـ مورتن كيل العجوز ـ الذي يلقبونه « بالفيراء »

هوفستاد (وهو يكتب) ـ هل انت متأكد ان لديه ثروة ؟

بيليخ ـ نعم ، فلاضرب حتى الموت ان لم يكن لديه ! ولا بد ان يؤول جزء من ثروته لعائلة الدكتور ستوكمان . وعلى اية حال فلا بد ان ينفق على الاطفال .

هوفستاد ـ (يستدير نصف استدارة) ـ وهل تعتمد على هذا ؟

بيليخ ـ اعتمد ؟ كيف يمكنني ان اعتمد عليه ؟

هوفستاد ـ خير لك الا تفعل ! وينبغي لك الا تعتمد على وظيفة السكرتير هي الاخرى ، فباستطاعتي ان اوكد لك انك لن تنالها .

بيليخ ـ وهل تظنني لا ادرك هذا ؟ ان رفض طلبي هو ما أريده بالذات فهذا الرفض يذكي في المرء نار المعارضة ، ويعطيه مددا جديدا من الحقد ، وهذا هو بالذات ما يحتاجه المرء في جحر كهذا ، لا يحدث فيه ما يثير .

هوفستاد (يكتب) ـ نعم ، نعم

بيليخ ـ حسنا، سيسمعونني قريبا! ـ سأذهب الان واكتب طلبا لجمعية ملاكي الدور (يدخل الغرفة الى اليمين)

هوفستاد ـ (يجلس على مقعده ، ويعض حاملة القلم ، ويقول ببطء) احم ـ هذه هي القضية ـ (يقرع الباب مرة) تفضل .

(تدخل بيترا من الخلف ، اليسار)

هوفستاد (ينهض) ، ماذا ! أهذه انت ؟ هنا ؟

بيترا ـ نعم ، أرجو ان تعذرني

هوفستاد (يقدم لها كرسيا ذا ذراع) ـ الا تجلسين ؟

بيترا ـ كلا ، شكرا ، يجب ان اعود فورا .

هوفستاد ـ لعلك تحملين رسالة من والدك ؟

بيترا ـ لقد جئت لامر يخصني ـ (تخرج كتابا من جيب معطفها). ها هي القصة الانجليزية .

هوفستاد ـ ولماذا تعيدينها ؟

بيترا ـ لاني لا اريد ان أترجمها

هوفستاد ـ ولكنك وعدت

بيترا ـ نعم ، ولكن لم اكن قد قرأتها حينئذ . واظنك لم تقرأها ايضا.

هوفستاد ـ كلا ، فانك تعرفين انني لا اعرف الانجليزية ، ولكن .

بيترا ـ وهذا هو بالذات السبب في انني اردت ان اخبرك بانه يجب ان تجد شيئا اخر . (تضع الكتاب على الطاولة) هذا لا يلائم جريدتكم ابدا .

هوفستاد ـ ولم لا ؟

بيترا ـ لانها تخالف كل مبادئكم مخالفة صريحة

هوفستاد ـ اما بالنسبة لهذا ـ

بيترا ـ انت لا تفهمني ـ فالقصة تثبت ان قوة غيبية ترعى من يسمون بالصالحين في هذا العالم ، وتحول كل شيء لمصلحتهم في النهاية، بينما يعاقب من يسمون بالاشرار .

هوفستاد ـ نعم ، ولكن هذا حسن . وهو بالذات ما يحبه الجمهور.

بيترا ـ وهل تزود الجمهور بمادة كهذه ؟ انت بنفسك لا تصدق كلمة منه . وانت تدرك تمام الادراك ان الامور لا تسير بهذا الشكل .

هوفستاد ـ طبعا لا ، ولكن المحرر لا يستطيع دائما ان يفعل ما يشاء . فعليه غالبا ان يرضي رغبات الناس في شؤون قليلة الاهمية . وعلى كل حال ، فالسياسة هي الشيء الرئيسي في الحياة ـ بالنسبة للجريدة ، واذا اردت ان يتبعني الناس في طريق التحرر والتقدم ، فيجب علي ألا أجعلهم يهربون خوفا . وان وجدوا قصة اخلاقية كهذه في اسفل الصفحة ، فسيكونون اكثر استعدادا للتسليم بما نخبرهم به في اعلاها ـ انهم يجدون انفسهم اكثر اطمئنانا .

بيترا ـ يا للعار ! لست بالمنافق حتى تعد مثل هذه المصائد لقرائك . انك لست بعنكبوت .

هوفستاد (مبتسما) ـ اشكر لك رأيك الطيب في . والحقيقة ان تلك الفكرة لبيليخ ، وليست لي.

بيترا ـ للسيد بيليخ !

هوفستاد ـ نعم ، لقد كان يقول شيئا بهذا المعنى في يوم سابق . وهو الذي كان شديد الاهتمام بظهور القضية في الجريدة ، اما انا فلا اعرف شيئا عن الكتاب .

بيترا ـ ولكن كيف يستطيع السيد بيليخ ، بافكاره التقدمية ـ

هوفستاد ـ ان بيليخ مساير . وقد سمعت انه قدم طلبا لوظيفة سكرتير مجلس البلدة .

بيترا ـ لا اصدق ذلك ، سيد هوفستاد . ولكن كيف ينحط لمثل هذا ؟

هوفستاد ـ اساليه هو .

بيترا ـ ما توقعت هذا قط من بيليخ !

هوفستاد (ينظر اليها بامعان متزايد) ـ وهل الامر مفاجيء لك كثيرا ؟

بيترا ـ نعم ، ومع ذلك ـ ربما لا . اوه ، انا لا اعرف ـ

هوفستاد ـ نحن الصحفيين لا نستحق الكثير ، آنسة بيترا .

بيترا ـ أتعني ذلك حقا ؟

هوفستاد ـ اعتقد ذلك ، من حين لاخر .

بيترا ـ نعم ، في الشؤون اليومية الصغيرة ـ يمكن فهم هذا . اما الان وقد تبنيتم قضية خطيرة ـ

هوفستاد ـ تعنين قضية والدك ؟

بيترا ـ طبعا . اعتقد انه يجب ان تشعروا بانكم اعظم قيمة من عامة الناس .

هوفستاد ـ نعم ، اشعر اليوم فعلا بشيء من هذا القبيل .

بيترا ـ بالتاكيد يجب ان تشعر بذلك . انها طريق مجيدة تلك التي اخترتها ! ان تمهد الطريق للحقائق المكبوتة ولطرائق الفكر الحديثة الجريئة ! ـ حتى ولو لانك تتقدم بشجاعة في تأييد رجل اسيء اليه ـ

هوفستاد ـ وخاصة حين يكون الشخص المساء اليه ـ احم ـ لا اكاد اعرف كيف افصح ـ

بيترا ـ تعني عندما يكون مستقيما ومخلصا ؟

هوفستاد (بصوت منخفض وبرقة) ـ اعني ـ خاصة عندما يكون والدك .

بيترا (تتراجع فجأة) ـ ذلك ؟

هوفستاد ـ نعم ، بيترا ـ آنسة بيترا .

بيترا ـ اذن ذلك هو ما يهمك اولا وقبل كل شيء ؟ وليس القضية بالذات ؟ ذلك ، لا الحقيقة ؟ ليس قلب والدي العظيم ، الحنون

هوفستاد ـ وهذا طبعا ، بالتاكيد .

بيترا ـ كلا ، شكرا ، لقد فضحت نفسك ، سيد هوفستاد . ولن اثق بك ثانيه ابدا ، ولا في اي شيء .

هوفستاد ـ أيمكن ان تكوني بهذه القسوة علي لان ذلك من اجلك بالدرجة الاولى ـ ؟

بيترا ـ ما الومك عليه هو انك لم تكن مستقيما مع والدي . لقد تحدثت اليه وكانك تأبه للحقيقة وخير المجموع فحسب . لقد استخففت بوالدي وبي . لست الرجل الذي تظاهرت ان تكونه . وهذا ما لن اغفره لك ابدا ، ابدا .

هوفستاد ـ لا ينبغي ان تتحدثي بهذه المرارة ، آنسة بيترا ـ ليس الان على الاقل .

بيترا ـ ولم ليس الان ؟

هوفستاد ـ لان والدك لا يستغني عن مساعدتي .

بيترا (تتفحصه من رأسه لقدمه) ـ انت اذن قادر على هذا ايضا ؟ يا للعار !

هوفستاد ـ كلا ، كلا . لقد تكلمت بدون تفكير . يجب الا تصدقي ذلك .

بيترا ـ انني اعرف ما اصدق . وداعا .

(يدخل اسلاكسن من غرفة الطباعة بسرعة وبشكل غامض) .

اسلاكسن ـ ماذا تظن ، سيد هوفستاد ـ (يرى بيترا) أوه ، هذا غريب ـ

بيترا ـ حسنا ، هاك الكتاب . عليك ان تعطيه لسواي .

(تذهب نحو الباب الرئيسي)

هوفستاد (يتبعها) ـ ولكن ، آنسة بيترا ـ

بيترا ـ وداعا . (تخرج)

اسلاكسن ـ سيد هوفستاد ، انني اقول ـ !

هوفستاد ـ حسنا ، حسنا ، ما الامر ؟

اسلاكسن ـ العمدة في الخارج ، في مكتب الطباعة .

هوفستاد ـ العمدة ؟

اسلاكسن ـ نعم . يريد ان يتحدث اليك ، لقد دخل من الباب الخلفي ـ لم يشأ ان يراه احد ، وانت فاهم .

هوفستاد ـ وماذا يمكن ان يكون معنى هذا ؟ انتظر ، سأذهب بنفسي ـ (يذهب نحو غرفة الطباعة ، ويفتح الباب ، وينحني ويدعو العمدة للدخول) ـ تأكد يا اسلاكسن ان احدا لا ـ

اسلاكسن ـ اعرف (يدخل غرفة الطباعة)

العمدة ـ لم تتوقع ان تراني هنا ، سيد هوفستاد .

هوفستاد ـ كلا ، لا يمكنني ان اقول انني توقعت هذا .

العمدة (ينظر حوله) ـ انكم متمركزون بشكل مريح جدا هنا ـ مكان عظيم .

هوفستاد ـ اوه ـ

العمدة ـ ولقد جئت ، سواء أذنت ام لا ، لاشغل وقتك ـ

هوفستاد ـ على الرحب والسعة ، حضرة العمدة ، انني في خدمتك . دعني آخذ قبعتك وعصاك . (يأخذهما ويضعهما على كرسي) ألا تود ان تجلس ؟

العمدة (يجلس قرب الطاولة) شكرا .

(يجلس هوفستاد ايضا قرب الطاولة) .

لقد كنت كثيرا ـ متضايقا كثيرا اليوم ، سيد هوفستاد .

هوفستاد ـ حقا ، ربما كان لواجباتك العديدة ، يا حضرة العمدة ـ

العمدة ـ ان الدكتور هو الذي سبب لي الضيق اليوم .

هوفستاد ـ أحقا ! الدكتور ؟

العمدة ـ لقد كتب نوعا من التقرير للجنة الحمامات حول بعض النقائص المزعومة في الحمامات .

هوفستاد ـ هل فعل ذلك حقا ؟

العمدة ـ نعم ، ألم يخبرك ؟ ظننته قال ـ

هوفستاد ـ نعم ، وبالمناسبة لقد ذكر شيئا ما ـ

اسلاكسن (من مكتب الطباعة) ـ لقد جئت من اجل التقرير .

هوفستاد (مضطربا) اوه ـ هنالك هو على المقعد .

اسلاكسن (يجد الاوراق) ـ حسنا .

العمدة ـ ولكن انظر ، ذلك هو ما كنت اتحدث عنه ـ

اسلاكسن ـ نعم ، هذا هو مقال الدكتور ، حضرة العمدة .

هوفستاد ـ أهذا ما كنت تتحدث عنه ؟

اسلاكسن ـ تماما ، ما رأيك فيه ؟

هوفستاد ـ ليس لي المام فني بالامر ، لقد اطلعت عليه مجرد اطلاع .

العمدة ـ ومع ذلك ستطبعه !

هوفستاد ـ لا يسعني ان ارفض بسهولة رسالة موقعة ـ

اسلاكسن ـ ليست لي علاقة بتحرير الجريدة ، حضرة العمدة ـ

العمدة ـ طبعا لا .

اسلاكسن ـ انا فقط اطبع ما يوضع بين يدي .

العمدة ـ هذا صحيح تماما ، صحيح تماما .

اسلاكسن ـ هذا ما يجب علي ـ (يذهب نحو غرفة الطباعة)

العمـــدة ـ كلا ، انتظر لحظة ، سيد اســـلاكسن . باذنك ، سيد هوفستاد ـ

هوفستاد ـ لك ما تشاء ، حضرة العمدة .

العمـــدة ـ انك رجل حصيف ومفكر ، سيد اسلاكسن .

اسلاكسن ـ يسرني ان ترى هذا ، حضرة العمدة .

العمـــدة ـ وشخص واسع النفوذ .

اسلاكسن ـ في الطبقة الوسطى الدنيا ، بصورة رئيسية .

العمـــدة ـ صغار دافعي الضرائب يشكلون الاغلبية ـ هنـــا كما في كل مكان اخر .

اسلاكسن ـ هذا صحيح جدا .

العمدة ـ وليس لدي شك انك تعرف الشعور العام بينهم . هل انا على صواب ؟

اسلاكسن ـ نعم ، اظن ان بوسعي ان اقول اني اعرف ذلـك ، حضرة العمدة .

العمـــدة ـ ولما كانت جموع مواطنينا من الطبقة الفقـــيرة تواقة باخلاص للتضحية ـ

اسلاكسن ـ وكيف هذا ؟

هوفستاد ـ تضحية ؟

العمـــدة ـ فهذا برهان ساد على الروح الشعبية ـ برهـــان مبهج جدا . واني اعترف انه اكثر مما كنت اتوقع . ولكنك طبعـــا تعرف الشعور الشعبي احسن مما اعرفه .

اسلاكسن ـ نعم ، ولكن ، حضرة العمدة ـ

العمـــدة ـ وفي الواقع ان التضحية التي ستضطر البـــلدة لتقديمها ليست صغيرة ـ

هوفستاد ـ البلدة ؟

اسلاكسن ـ ولكني لا افهم ـ انها الحمامات ـ

العمـــدة ـ لقد تبين ، بعد تقدير موقت تقريبي ، ان الاصلاحات التي يريدها الدكتور ستبلغ مئتين او ثلاثمائة الف ريال .

اسلاكسن ـ هذا مبلغ ضخم ، ولكن ـ

العمـــدة ـ وبالطبع ، سنضطر لنجمع قرضا شعبيا .

هوفستاد (ناهضا) ـ بالتأكيد انت لاتعني ان البلدة ـ ؟

اسلاكسن ـ هل تعني ان المبلغ يسحب من رصيد البلدة ؟ ـ مـــن جيوب الطبقة الوسطى الدنيا ؟

العمدة ـ ياعزيزي السيد اسلاكسن ، من اي مصدر اخر ينبغي ان تاتـي التكاليف ؟

اسلاكسن ـ هذا شان اصحاب الحمامات .

العمدة ـ هل انت متاكد تماما من هذا ، حضرة العمدة ؟

العمدة ـ لدي معلومات اكيدة . وهكذا فاذا ماطولب بتلك التغييرات الواسعة ، فينبغي ان تتحمل البلدة نفسها التكاليف .

اسلاكسن ـ اوه ، ياللطاعون ـ ارجو المعذرة ! ـ ولكن هذه قضيـــة تختلف تمام الاختلاف ، سيد هوفستاد .

هوفستاد ـ نعم ، بالتاكيد .

العمدة ـ واسوا مافي الامر اننا سنضطر لاغلاق المؤسسة مدة عامين .

هوفستاد ـ هل نغلقها ؟ نغلقها تماما ؟

اسلاكسن ـ مدة عامين ؟

العمدة ـ نعم ، فالعمل يتطلب تلك المدة ـ على الاقل .

اسلاكسن ـ لكن ياالله ! لانستطيع تحمل ذلك ، حضرة العمدة .وعلام سنعيش نحن ملاكي الدور اثناء ذلك ؟

العمدة ـ من الصعب جدا ان اخبرك ، سيد اسلاكسن . ولكن مـاذا تريدنا ان نفعل ؟ اتظن ان زائرا واحدا سيؤم هذا المكان ان اوهمناهـم ان المياه مسمومة ، وان المكان موبوء ، وان البلدة كلها ـ

اسلاكسن ـ وليس كل ماهنالك الا وهما ؟

العمـدة ـ بالرغم من ارادتي ، اخفقت في اقناع نفسـي انها ليست ســـوى وهـم .

اسلاكسن ـ ليس للدكتور عذر ، والحالة هذه ، ارجو معذرتك ،حضرة العمدة ، ولكـن ـ

العمدة ـ يؤسفني ان اقول انك لاتقول سوى الحقيقة ، سيد اسلاكسن ولسوء الحظ ان شقيقي كان دائما معروفا بتهوره .

اسلاكسن ـ ورغم هذا ، فانت تريد ان تدعمه في موقفه ، سيـــد هوفستاد !

هوفستاد ـ ولكن من كان يتصور ذلك ـ ؟

العمدة ـ لقد كتبت بيانا قصيرا عن الحقائق كما تبدو من وجهـــة نظر تتصف بالتعقل ؟ واعلنت انه يمكن ، بلا ريب ، اصلاح اية نقائص محتملة باجراءات تتفق ووضع الحمامات المالي .

هوفستاد ـ هل البيان معك ، حضرة العمدة ؟

العمدة (يتحسس جيوبة) ـ نعم ، لقد احضرته معي ، في حالة ـ

اسلاكسن (بسرعة) ـ ياللشيطان ، هو ذا !

العمدة ـ من ؟ شقيقي ؟

هوفستاد ـ اين ؟ اين ؟

اسلاكسن ـ انه ات من غرفة التنضيد .

العمدة ـ هذا اسوأ مايكون ! لااريد مقابلته هنا ، ومع هذا فهنـاك اشياء عديدة اريد ان احدثكم عنها .

هوفستاد (مشيرا الى الباب على اليمين) ـ ادخل هناك لحظة .

العمـدة ـ ولكن ـ ؟

هوفستاد ـ لن تجد احدا سوى بيليغ هناك .

اسلاكسن ـ بسرعة ، بسرعة ، حضرة العمدة ؟ انه قادم مباشرة .

(يخرج عن طريق الباب الايمن ، الذي يفتحه اسلاكسن ويغلقه وراءه.)

هوفستاد ـ تظاهر بانك مشغول ، اسلاكسن .

(يجلس ويكتب . اسلاكسن يقلب كومة من الجرائد على كـــرسي ، الـى اليمين .)

الدكتور ستوكمان (يدخل من غرفة التنضيد) . ها انذا ، عـــدت ثانيـــة .

(يضع قبعته وعصاه .)

هوفستاد (يكتب) ـ الان ، دكتور ؟ اسلاكسن ، عجل بما كنا نتحدث به . ليس لدينا وقت نضيعه اليوم .

الدكتور ستوكمان(لاسلاكسن)ـ ليس هناك مسودة لاراها ، كما الاحظ.

اسلاكسن (دون ان يلتفت) ـ كلا ، وكيف يمكن ان تتوقع وجودها ؟

الدكتور ستوكمان ـ طبعا لا ؟ ولكنك تدرك مدى شوقي . لن انعـم براحة او هدوء حتى ارى المقال مطبوعا .

هوفستاد ـ احم ؟ ومع ذلك فانها ستستغرق وقتا وطويلا . اليـس كذلك ، اسلاكسن ؟

اسلاكسن ـ اخشى ان تستغرق وقتـا .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، حسنا ، ياصديقي الطيب ؟ اذن ساعود ثانية ، سأحضر مرتين ان كان ذلك ضروريا . عندما تكون رفاهية البلدة كلها في خطر ، فيجب على المرء الا يضن ببعض التعب . (يوشك على الذهاب ولكنه يتوقف ويرجع .) آه، هناك شيء اخر علي ان احدثك بشأنه .

هوفستاد ـ اعذرني ؟ اليس من وقت اخر ـ ؟

الدكتور ستوكمان ـ يمكن ان اخبرك بكلمتين . فالامر هو هذا :عندما يقرأ الناس مقالي في الجريدة غدا، ويجدون انني انفقت الشتاء كله اعمل بهدوء من اجل مصلحة البلدة ـ

هوفستاد ـ نعم ، ولكن ، دكتور ـ

الدكتور ستوكمان ـ اني اعرف ماستقول ، انت تعتقد ان هذا واجبي كمواطن . طبعا اعرف ذلك ، كما تعرفه انت . ولكنك ترى ، ان المواطنين يالله ! هؤلاء المساكين يقدرونني كثيرا ـ

اسلاكسن ـ نعم ، كان اهل البلدة قد قدروك كثيرا حتى الان ، دكتور .

الدكتور ستوكمان ـ وهذا بالضبط سبب خوفي ان ـ ماأريد ان اقوله هو هذا :

عندما يصلهم الامر ـ وخاصة الطبقات الفقيرة ـ كنداء لكي يستلموا شؤون البلدة بايديهم انفسهم من اجل المستقبل ـ

هوفستاد ـ احم ، دكتور ، لن اخفي عليك ـ

الدكتور ستوكمان ـ آها ! ادرك ان هناك شيئا يدبر ! ولكني لن اسمع كلمة عنه . ان يكونوا نظموا شيئا من هذا النوع ...

هوفستاد ـ من اي نوع ؟

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، اي شيء من اي نوع ـ موكب باعلام ، او مادبة ، او اكتتاب بهدية ، او مهما يمكن ان يكون ـ عليك ان تعدني رسميا ان تمنع ذلك . وانت ايضا ، سيد اسلاكسن اتسمع ؟

هوفستاد ـ اعذرني ، دكتور ؟ من الخير ان نخبرك الحقيقة ، عاجلا ام اجلا ـ

(تدخل السيدة ستوكمان من الخلف ، اليسار .)

السيدة ستوكمان (ترى الدكتور) ـ اه ! تماما مثلما ظننت !

هوفستاد (يذهب نحوها) ـ السيدة ستوكمان ، ايضا ؟

الدكتور ستوكمان ـ ماذا تريدين انت هنا ، والعياذ بالله ، كاترينا ؟

السيدة ستوكمان ـ انت تعرف تمام المعرفة ماذا اريد .

هوفستاد ـ الا تجلسين ، او ربما ـ

السيدة ستوكمان ـ شكرا ، ارجو الا تتضايق ، وارجو ان تغفر لي لحاقي بزوجي الى هذا المكان ، ولكن تذكر انني ام لثلاثة اطفال .

الدكتور ستوكمان ـ باللسخرية ! كلنا نعرف هذا تمام المعرفة .

السيدة ستوكمان ـ ولكن لايبدو انك فكرت جيدا بزوجتك واولادك هذا اليوم ، والا ماكنت مستعدا لتفرقنا جميعا في الدمار بهذاالشكل .

الدكتور ستوكمان ـ هل جننت ، كاترينا ! اليس لرجل له زوجةوثلاثة اطفال الحق في ان يعلن الحقيقة ؟ اليس له الحق في ان يكون مواطنا مفيدا او نشيطا ؟ اليس له الحق بان يؤدي واجبه نحو البلدة التي يعيش فيها ؟

السيدة ستوكمان ـ كل شيء باعتدال ، توماس !

اسلاكسن ـ هذا بالضبط ماقوله . الاعتدال في كل شيء .

السيدة ستوكمان ـ انك تسيء الينا ، سيد هوفستاد ، باستدراج زوجي بعيدا عن داره ، وبخداعه على هذا النحو .

هوفستاد ـ انا لا اخدع احدا !.

الدكتور ستوكمان ـ خداع ! هل تظنين انني اسمح لاحد بخداعي ؟

السيدة ستوكمان ـ نعم ، هذا هو ماتفعله تماما . انني اعرف جيدا انك اذكى رجل في البلدة ، ولكنك تخدع بسهولة تامة ، توماس . (الى هوفستاد .) تذكر انه سيفقد وظيفته في الحمامات ان نشرت ماقد كتب ـ

اسلاكسن ـ ماذا !

هوفستاد ـ والان حسنا ، حقا ، دكتور ـ

الدكتور ستوكمان (ضاحكا) ـ ها ، ها ! دعهم يحاولون ـ ! كلا ، كلا ياعزيزتي ، سيفكرون كثيرا قبل الاقدام على ذلك . ان الاغلبية المتراصة تقف من ورائي ، كما تعلمين !

السيدة ستوكمان ـ وهذا هو بالذات سوء الحظ ، ان يكون وراءك مثل هذا الشيء المفزع .

الدكتور ستوكمان ـ هراء ، كاترينا ؟ ـ اذهبي الى البيت واعتني بدارك ، ودعيني اعتني بالمجتمع . كيف يمكنك ان تكوني خائفة هكذا عندما ترينني واثقا وسعيدا ؟ (يفرك يديه ويمشي جيئة وذهابا) . الحقيقة والشعب يجب ان يفوزا ؟ تاكدي تمام التاكد من هذا . اوه ! في وسعي ان ارى كل مواطنينا الاحرار يقفون متراصين كجحفل ظافر ـ !

(يقف قرب كرسي .) ماذا ، ماهذا والعياذ بالله ؟

اسلاكسن (ينظر اليه) . ياالهي !

هوفستاد (ينظر اليه ايضا) . احم ـ

الدكتور ستوكمان . هو ذا اعلى رمز للسلطة ! (يتناول قبعة العمدة الرسمية بعناية بين رؤوس اصابعه ويرفعها .)

السيدة ستوكمان ـ قبعة العمدة !

الدكتور ستوكمان ـ وهذه عصا السلطة ايضا ! ولكن كيف والعياذ بالله ـ ؟

هوفستاد ـ حسنا اذن ـ

الدكتور ستوكمان ـ آه ، لقد فهمت ! لقد جاء ليقنعكم . ها ، ها ! لقد قرر بدون تفكير هذه المرة ! وعندما راني في غرفة الطباعة ـ (ينفجر ضاحكا) ـ نكص على عقبيه ، اه سيد اسلاكسن ؟

اسلاكسن (بسرعة) . فعلا ، نكص على عقبيه ، دكتور .

الدكتور ستوكمان ـ هرب بسرعة وترك عصاه و ـ كلا ، هذا هراء! بطرس لايترك وراءه شيئا ابدا . ولكن اين اخفيتموه والعياذ بالله ؟ آه ـ في الداخل هنا ، طبعا . الان سترين ، كاترينا !

السيدة ستوكمان ـ توماس ـ اني اتوسل اليك ـ !

اسلاكسن ـ دكتور ، حذار !

(يرتدي الدكتور ستوكمان قبعة العمدة ويحمل عصاه ؟ يتجه الى الباب الخلفي ويؤدي التحية العسكرية .)

(يدخل العمدة وقد احمر غضبا ووراءه بيليغ .)

السيدة ستوكمان (على وشك البكاء) . اوه ، توماس !

العمدة (يتبعه) ـ اعطني قبعتي وعصاي !

الدكتور ستوكمان (كما كان في السابق) . يمكنك ان تكون رئيس الشرطة ، ولكني العمدة . انني سيد البلدة كلها ، اني اقول لك !

العمدة ـ اخلع قبعتي . تذكر انها قبعة رسمية ، كما ورد في القانون !

الدكتور ستوكمان ـ بش ! اتظن ان اسد الديموقراطية اليقظ يسمح لنفسه بالخوف من قبعة ذات شرائط ذهبية ؟ دعني اخبرك ان ثورة ستنشب في البلدة غدا . لقد هددتني بالطرد ؟ ولكني الان اطردك انت اطردك من كل مناصبك ـ . اتظنني غير قادر على هذا ؟ ـ بلى ، انني قادر ! ان قوى المجتمع التي لاتقهر تقف الى جانبي سيرعد هوفستاد وبيليغ في « مراسل الشعب » وسيبدأ اسلاكسن الحملة على رأس جمعية ملاكي الدور ـ

اسلاكسن ـ كلا ، دكتور ، لن افعل ذلك .

الدكتور ستوكمان ـ لماذا ، طبعا ستفعل ـ

العمدة ـ ربما يود السيد هوفستاد الاشتراك في هذا الاضطراب ؟

هوفستاد ـ كلا ، حضرة العمدة .

اسلاكسن ـ كلا ، ليس السيد هوفستاد مجنونا حتى يهدم نفسه والجريدة من اجل وهم .

الدكتور ستوكمان (ملتفتا حوله) . ماذا يعني هذا كله ؟

هوفستاد ـ لقد عرضت قضيتك في ضوء زائف ، دكتور ؟ فلا اسطيع منحك تأييدي .

بيليغ ـ وبعدما تفضل حضرة العمدة بشرحه لي ، فانا ـ

الدكتور ستوكمان ـ في ضوء زائف ! حسنا ، انا المسؤول عن هذا . فقط اطبعوا مقالتي ، وانا قادر على الدفاع عنها .

هوفستاد ـ لن انشرها ، لا استطيع ان انشرها ، ولا اريد ، ولا اجرؤ على نشرها .

الدكتور ستوكمان ـ انت لاتجرؤ ! اي هراء هذا ؟ انت محرر ، واعتقد ان المحرر هو الذي يدير الجريدة .

اسلاكسن ـ كلا ، هذا عمل المساهمين ، دكتور .

العمدة ـ لحسن الحظ .

اسلاكسن ـ ان الرأي العام ، والاغلبية المستنيرة ، وملاكي الدور ، وغيرهم هم من يدير الجريدة .

الدكتور ستوكمان (بهدوء) ـ وهذه القوى كلها ضدي ؟

اسلاكسن ـ نعم، ضدك. ان ظهرت مقالتك فهذا يعني دمارا تاما للبلدة.

الدكتور ستوكمان ـ هذا هو الموقف اذن !

العمدة ـ قبعتي وعصاي !

(الدكتور ستوكمان يخلع القبعة ويضعها مع العصا على الطاولة) .

العمدة (يأخذهما) ـ لقد انتهى دورك في العمل في وقت غير مناسب .

الدكتور ستوكمان ـ لم تأت النهاية بعد . (الى هوفستاد) الست مصمم فعلا على الا تنشر مقالتي في « المراسل ؟ »

هوفستاد ـ فعلا ، في سبيل عائلتك ، ان لم يكن لسبب اخر .

السيدة ستوكمان ـ من فضلك ، اترك عائلته خارج الموضوع ، سيد هوفستاد .

العمدة (يخرج بيانه من جيبه) . عندما ينشر هذا ستكون لدى الجمهور المعلومات الضرورية . انه بلاغ رسمي . تفضل .

هوفستاد (يأخذ البلاغ) ـ حسنا ، سيطبع في مكان مناسب .

الدكتور ستوكمان ـ ولكن لاتطبعون مقالتي ! اتتصور انك تستطيع خنقي وواد الحقيقة بمؤامرة من الصمت ! ولكن ذلك لن يكون بالسهولة التي تظن . سيد اسلاكسن ، ايمكن ان تطبع مقالتي على شكل كراس فورا ؟ سادفع من جيبي واكون الناشر . اريد اربعمائة نسخة ، ـ كلا خمسمائة ، ستمائة .

اسلاكسن ـ كلا ، لو اعطيتني وزنها ذهبا ، لااجرؤ ان استخدم مطبعي لغرض كهذا ، دكتور ، لااجرؤ على تحدي الرأي العام . لن تستطيع طبعها في البلدة ابدا .

الدكتور ستوكمان ـ اذن اعدها لي .

هوفستاد (يناوله الاوراق) ـ هذه هي ..

الدكتور ستوكمان (متناولا قبعته وعصاه) ـ سيعرفها الجمهور على كل حال . سأقرأها في اجتماع جماهيري عظيم ؟ وسيسمع كل المواطنين صوت الحقيقة !

العمدة ـ لن تجد في البلدة جمعية واحدة تؤجرك قاعتها لغرض كهذا.

اسلاكسن ـ ولا واحدة ، انا متأكد تمام التأكد .

بيليغ ـ كلا ولاضرب حتى الموت ان وجد .

السيدة ستوكمان ـ ولكن هذا معيب جدا ! لماذا تنقلبون ضدك على هذا النحو ، توماس ؟

الدكتور ستوكمان (منفعلا) ـ سأقول لك لماذا . لان كل رجال البلدة عجائز مثلك ـ لانهم كلهم لايفكرون بشيء سوى عائلاتهم ، وليس بالمصلحة العامة .

السيدة ستوكمان (آخذة بذراعه) . اذن سأريهم ان عجوزا تستطيع ان تكون رجلا مرة على سبيل الاستثناء . فانني سأقف بجانبك الان .

الدكتور ستوكمان ـ احسنت قولا ، كاترينا ! اقسم بروحي وبضميري ان الحقيقة ستظهر ! ان لم يؤجروني قاعة فسوف استأجر طبلا واطوف البلدة ؟ وسوف اقرأ مقالتي على ناصية كل شارع .

العمدة ـ انت حتما لست مجنونا الى حد ان تقوم بهذا العمل ؟

الدكتور ستوكمان ـ بل انا كذلك .

اسلاكسن ـ لن تجد شخصا واحدا يرافقك في البلدة كلها .

بيليغ ـ كلا ، فلاضرب حتى الموت ان وجدت !

السيدة ستوكمان ـ توماس لاتذعن . سأطلب من الاولاد انيرافقوك .

الدكتور ستوكمان ـ يالها من فكرة ممتازة !

السيدة ستوكمان ـ سوف يبتهج مورتن ، وربما يذهب ايلف ايضا .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، وبيترا ايضا ! وانت بنفسك ، كاترينا !

السيدة ستوكمان ـ كلا ، اما انا فلا . ولكني سأقف في النافذة واراقبك ، هذا ماسأفعله .

الدكتور ستوكمان ـ (يطوقها بذراعيه ويقبلها) ـ اشكرك على ذلك ! والان ، ايها السادة المحترمون ، نحن مستعدون للحرب ! وسنرى الان فيما اذا كان بامكان حيلكم الدنيئة ان تخرس فم المواطن الذي يريد انيظهر المجتمع !

(يخرج هو وزوجته معا من الباب في المؤخرة ، اليسار .)

العمدة (يهز رأسه جادا) لقد ملأ رأسها غرورا هي الاخرى .

الفصل الرابع

غرفة كبيرة على الطراز القديم في بيت هورستر . في المؤخرة باب ذو مصراعين ، مفتوح ، وهو يؤدي الى غرفة داخلية . ثلاث نوافذ في الحائط الى اليسار . عند منتصف الحائط المقابل يوجد منبر ،وعليه طاولة ، ومصباحان ، وزجاجة ماء وكأس ، وجرس . الغرفة مضاءة بمصابيح موضوعة بين النوافذ . في المقدمة الى اليسار ، طاولة وعليها مصباح وقربها كرسي . في المقدمة ، الى اليمين ، باب وقربه بعض الكراسي .

(حشد كبير من مختلف الطبقات . توجد بعض النساء واولاد المدارس ..

يدخل المزيد من الناس تدريجيا من المؤخرة حتى تمتلىء الغرفة تماما.)

المواطن الاول (لاخر يقف بجانبه) ـ اذن انت ايضا هنا ، لامستاد ؟

المواطن الثاني ـ انا لا افوت اجتماعا شعبيا قط .

احد الواقفين ـ اظنك احضرت صفارتك ؟

المواطن الثاني ـ طبعا احضرتها ؟ الم تحضر صفارتك انت ؟

المواطن الثالث ـ بلى، وسكيبر ايفنسن قال انه سيحضر بوقا كبيرا ضخما ..

المواطن الثاني ـ ان ايفنسن شخص طيب !

(ضحك بين الجماعة)

المواطن الرابع (منصت اليهم)ـ وعم كل هذا ؟ ماذا سيحدث هنا الليلة ؟

المواطن الثاني ـ ان الدكتور ستوكمان يريد ان يتكلم ضد العمدة .

المواطن الرابع ـ ولكن العمدة شقيقه ؟

المواطن الاول ـ لافرق . الدكتور ستوكمان لايخشاه .

المواطن الثالث ـ ولكنه مخطىء تماما ؟ « مراسل الشعب » تقول هذا .

المواطن الثاني ـ نعم ، لابد انه مخطىء هذه المرة ، فقد رفضت جمعية ملاكي الدور ان تعطيه قاعتها وكذلك فعل نادي المواطنين .

المواطن الاول ـ بل ولم يعيروه قاعة الحمامات .

المواطن الثاني ـ كلا ، من المؤكد انهم لم يعيروه .

شخص (في جماعة اخرى) ـ ومن نتبع في هذه القضية ، اه ؟

شخص اخر (في نفس الجماعة) ـ فقط انتبه لاسلاكسن ، وافعل كما يفعل .

بيليخ (ينخذ طريقه بين الجموع واضبارة تحت ذراعه) ـ عفوا ايها السادة . اتسمحون لى بالمرور ؟ اتيت هنا لاكتب « لمراسل الشعب » . شكرا لكم .

(يجلس قرب الطاولة الى اليسار .)

عامل ـ من هذا ؟

عامل اخر ـ الا تعرفه ؟ انه بيليخ الذي يكتب لجريدة اسلاكسن .

(يدخل القبطان هورستر من الباب الامامي الى اليمين ، مصطحبا السيدة ستوكمان وبيترا . تتبعهم أيلف وورتن .)

هورستر ـ هذا هو المكان الذي اعتقد انه يمكنكم الجلوس فيه ؟ ويمكنكم ان تنسحبوا بسهولة ان حصل شيء ما .

السيدة ستوكمان ـ انظن انه سيحدث اي اضطراب ؟

هورستر ـ في حشد كهذا ـ لاستطيع المرء ابدا ان يتنبأ . ولكن لامجال للقلق .

السيدة ستوكمان (تجلس) ـ كم كان جميلا منك ان تقدم هذه الغرفة لزوجي .

هورستر ـ ان لم يرض احد اخر ، فانا ـ

بيترا (وقد جلست ايضا) ـ وكان ذلك عملا جريئا ايضا ، كابتن هورستر .

هورستر ـ لارى من اين اتت الشجاعة ..

(يدخل هوفستاد واسلاكسن في نفس اللحظة ، ولكنهما تتخذان طريقهما بين الجموع كل على حده .)

اسلاكسن (يصعد نحو هورستر) . الم يات الدكتور ؟

هورستر ـ انه ينتظر هناك .

(حركة عند الباب الخلفي) .

هوفستاد (الى بيليخ) ـ ها قد اتى العمدة ! انظر !

بيليخ ـ فلاضرب حتى الموت ان لم يكن قد حضر شخصيا رغم كل شيء !

(العمدة ستوكمان يشق طريقه بلطف بين الجموع ، منحنيا بادب لكلا الجانبين ، يتخذ مجلسه قرب الحائط الى اليسار . ومباشرة بعد ذلك يدخل الدكتور ستوكمان من الباب الايمن ، وهو مرتد سترة رسمية سوداء ورباط عنق ابيض . هتاف ضعيف ، يقابل بهسهسة تتضاءل . ويتلو هذا صمت .)

الدكتور ستوكمان (بصوت منخفض) ـ كيف انت ، كاترينا ؟

السيدة ستوكمان ـ مرتاحة تماما ، اشكرك . (بصوت منخفض) . احتفظ بهدوئك ، توماس .

الدكتور ستوكمان ـ ساضبط نفسي جيدا . (ينظر الى ساعته ، ويصعد المنبر ، وينحني .)

مضت ربع ساعة على الموعد ، وهكذا سأبدأ . (يخرج اوراقه .)

اسلاكسن ـ ولكن لابد من انتخاب رئيس اولا .

الدكتور ستوكمان ـ كلا ، ليس لذلك ضرورة على الاطلاق .

اشخاص عديدون (يصيحون) . نعم ، نعم .

العمدة ـ لابد لي من القول بانه يجب انتخاب رئيس .

الدكتور ستوكمان ـ ولكني دعوت لهذا الاجتماع لالقي محاضرة ، بطرس !

العمدة ـ ومحاضرة الدكتور ستوكمان قد تؤدي الى خلاف في الرأي .

اصوات عديدة من الجمهور ـ رئيس ! رئيس !

هوفستاد ـ يبدو ان الرأي العام في الاجتماع يريد رئيسا !

الدكتور ستوكمان (يضبط نفسه) ـ حسنا ، اذن ؟ لكم ماتشاؤون .

اسلاكسن ـ الن يتولى العمدة الرئاسة ؟

ثلاثة رجال (يصفقون) . برافو ! برافو !

العمدة ـ ينبغي علي ان ارفض ، لاسباب يعرفونها بسهولة . ولكن ، لحسن الحظ ، يوجد بيننا شخص اظن ان الجميع يقبلونه . اعني السيد اسلاكسن ، رئيس جمعية ملاكي الدور ،

اصوات كثيرة ـ نعم ، نعم ! برافو ، اسلاكسن ! مرحى لاسلاكسن !

(ياخذ الدكتور ستوكمان اوراقه وينزل عن المنبر .)

اسلاكسن ـ اما وقد شاء المواطنون ان ينتخبوني للقيام بهذا الواجب ، فلاسعني ان ارفض .

(اصوات استحسان عالية . يصعد اسلاكسن المنبر .)

بيليخ (وهو يكتب) .« وهكذا تم انتخاب اسلاكسن بحماس » .

اسلاكسن ـ اما وانا اقف هذا الموقف فاني اود ان اقول بضع كلمات. انني رجل هادىء ، ومحب للسلام ؟ باني اؤيد الاعتدال الحصيف ، و ـ والحصافة المعتدلة . وكل من يعرفني ، يعرف هذا عني .

اصوات كثيرة ـ نعم ، نعم ، اسلاكسن !

اسلاكسن ـ لقد تعلمت في مدرسة الحياة والتجربة . ان الاعتدال هو اثمن فضيلة يتحلى بها المواطن ـ

العمدة ـ انصتوا ، انصتوا !

اسلاكسن ـ والحصافة والاعتدال ايضا ، تمكنان المرء من خدمة المجموع على احسن نحو . ولذا سأقترح على مواطننا المحترم ، الذي دعا لهذا الاجتماع ، ان يبقى ضمن حدود الاعتدال .

رجل (قرب الباب) . عاشت جماعة منع المسكرات !

صوت ـ اذهب الى الجحيم !

اصوات ـ هس ! هس !

اسلاكسن ـ ارجو عدم المقاطعة ، ايها السادة ! ـ هل يرغب احد في تقديم اية ملاحظات ؟

العمدة ـ ياحضرة الرئيس !

اسلاكسن ـ العمدة ستوكمان سيخاطب الحفل .

العمدة ـ بسبب صلتي الوثيقة ـ التي ربما تدركونها ـ بطبيب صحة الحمامات الحالي ، وددت لو لم اتكلم هذا المساء . ولكن منصبي كرئيس اللجنة للحمامات ، وحرصي على المصالح الحيوية لهذه البلدة يرغماني على ان اتقدم باقتراح . وربما يمكنني ان اعتقد ، دون ريب ، انه ليس هناك مواطن واحد موجود هنا يرى من المستحسن ان تصل الى الخارج حقائق غير اكيدة ومبالغ فيها بخصوص حالة الحمامات والبلدة الصحية.

اصوات كثيرة ـ كلا ، كلا ، كلا ! بالتاكيد لا ! نحن نعترض .

العمدة ـ لذا ،اقترح ان يتخذ الاجتماع هذا القرار ، « يرفض هذا المؤتمر ان يسمع المحاضرة او الحديث المقترح عن هذا الموضوع من قبل طبيب الحمامات » .

الدكتور ستوكمان (يتميز غضبا) . يرفض ان يسمع ـ ! ماذا تعني ؟

السيدة ستوكمان (تسعل) . احم ! احم !

الدكتور ستوكمان (يضبط نفسه) . اذن لن تسمعوني ؟

العمدة ـ في بياني الذي نشرته « مراسل الشعب » عرفت الشعب بالحقائق الجوهرية ، بحيث يستطيع كل المواطنين الطيبين ان يكونوا حكمهم الخاص بسهولة . ومن ذلك البيان يتضح ان اقتراح الطبيب ـ بالاضافة الى انه يبلغ لهجة لوم قادة البلدة ـ يعني في جوهره تكبيد دافعي الضرائب نفقات غير ضرورية قدرها مائة الف ريال على الاقل .

(اصوات اعتراض وهسهسة) .

اسلاكسن (يقرع الجرس) . النظام ، ايها السادة ! ارجو ان تاذنوا لي بتاييد اقتراح العمدة . وانني اوافقه تماما على ان هناك شيئا ما وراء الاضطراب الذي اثاره الدكتور . ولكن الثورة هي مايهدف اليه ، في كل ما يقوله عن الحمامات ؟ انه يريد تنفيذ اعادة توزيع السلطة. لا يشك احد في سمو مقاصد الدكتور ستوكمان ، ولا يمكن ان يختلف على ذلك اثنان . وانا ايضا اؤيد قيام حكومة ذاتية من الشعب ، على الا تكلف دافعي الضرائب اكثر مما يجب . ولكنها في هذه الحالة سوف تكلفهم لذا افضل ان يذهب الدكتور ستوكمان الى الجحيم ـ ارجو العذرة ـ قبل ان اؤيده . الذهب يمكن ان يشترى باكثر من سعره ؟ هذا هو رأيي .

(استحسان مرتفع من كل الجهات) .

هوفستاد ـ وارى انني ايضا مضطر لشرح موقفي . وجدت ثورة الدكتور في البداية تاييد جهات عدة ، وقد ايدته بما استطيع من نزاهة ولكن سرعان ماظهر باننا قد ضللنا بعرض زائف للحقائق .

الدكتور ستوكمان ـ زائف ـ !

هوفستاد ـ عرض غير موثوق به . هذا مااثبته تقرير العمدة . وانا واثق انه ليس هناك في هذا المكان من يشك في مبادئي التحررية ؟ وموقف « مراسل الشعب » معروف لكم جميعا في كل المسائل السياسية الكبرى . ولكني تعلمت من ذوي الحكمة والتجربة انه يجب على الجريدة ان تحافظ على قدر معين من الحذر في الامور المحلية البحتة .

اسلاكسن ـ انا اتفق كل الاتفاق مع المتكلم .

هوفستاد ـ ومن الواضح تمام الوضوح ان الراي العام ضد الدكتور ستوكمان في المسالة المطروحة للبحث . ولكن ماهو واجب المحرر الاكثر وضوحا والحاحا ، ايها السادة ؟ اليس هو ان يعمل بانسجام مع قرائه ؟ اليس هو مفوضا تفويضا ضمنيا بدعم مصالح من فوضوه بدون كلل ؟ ام هل انا مخطىء في هذا ؟

اصوات كثيرة ـ كلا ، كلا ، كلا ! هوفستاد مصيب !

هوفستاد ـ ان مخاصمتي لرجل كنت اتردد على بيته كثيرا قد كلفتني صراعا مرا ـ لقد كان هذا الرجل حتى اليوم يتمتع بثقة مواطنيه التامة ـ وخطؤه الوحيد ، او على اية حال ، خطؤه الرئيسي انه يستشير قلبه اكثر من عقله .

اصوات قليلة مبعثرة ـ هذا صحيح ! مرحى للدكتور ستوكمان !

هوفستاد ـ ولكن واجبي تجاه المجموع ارغمني على ان اخاصمه ، وهناك ايضا اعتبار اخر يضطرني ان اعارضه وان احول دونه والطريق المشؤوم الذي يجتازه ، ان استطعت الى ذلك سبيلا ؟ وهذا الاعتبار هو عائلته .

الدكتور ستوكمان ـ الزم موضوع منشات المياه والمصارف !

هوفستاد ـ اعني زوجته واطفاله القاصرين .

مورتن ـ هل يعنينا ، اماه ؟

السيدة ستوكمان ـ صه !

اسلاكسن ـ ساطرح اقتراح العمدة للتصويت .

الدكتور ستوكمان ـ لاحاجة لهذا . لا اريد قول شيء في هذا المساء عن القاذورات الموجودة في الحمامات . كلا ! بل ساسمعكم شيئا مختلفا تمام الاختلاف .

العمدة (بصوت نصف مرتفع) . وهل من جديد ؟

شخص سكران (في المدخل الرئيسي). انا ادفع ضرائب ؟ ولذا لي حق ان ابدي رأيي ! وان رأيي الثابت ، الكامل ، غير المعقول ان .

اصوات كثيرة ـ سكوت هناك !

اخرون ـ انه سكران ! اطردوه !

(يطرد السكران)

الدكتور ستوكمان ـ هل لي ان اتكلم ؟

اسلاكسن (يقرع الجرس) ـ الدكتور ستوكمان سيخاطبكم .

الدكتور ستوكمان ـ منذ ايام قليلة ، كنت اود لو ارى من يجرؤ على محاولة اسكاتي كما يحصل الليلة في هذا المكان ! اذن لكنت حاربت كاسد من اجل حقوقي المقدسة ! ولكني الان قليلا ما آبه ؟ فلدي اشياء اكثر اهمية ساتحدث عنها .

(تقترب الناس من الطاولة . يظهر مورتن كيل بين الواقفين .)

الدكتور ستوكمان (مستمرا) ـ لقد كنت افكر باشياء عديدة جدا خلال الايام الاخيرة فكرت في مجموعة من الاشياء ؟ حتى ضاق تفكيري بها في النهاية .

العمدة (يسعل) ـ احم ـ !

الدكتور ستوكمان ـ اما الان فقد بدات تتضح حقائق الامور ، وصرت اراها بوضوح في جميع مظاهرها . وهذا هو سبب وقوفي هنا في هذا المساء . انني اوشك ان اقوم باكتشافات عظيمة ، يازملائي المواطنين !

سوف اعلن اكتشافا بعيد الاثر ، ابعد اثرا بكثير من الحقيقة التافهة القائلة ان مياهنا مسمومة ، وان مصحنا مبني على ارض موبوءة .

اصوات كثيرة (صائحة) . لاتتكلم عن الحمامات ! لن نصغي لهذا ! توقف عن هذا !

الدكتور ستوكمان ـ قلت اني ساتحدث عن الاكتشاف العظيم الذي قمت به في الايام القليلة الماضية ـ وهو اكتشاف ان كل منابع حياتنا الروحية مسمومة ، وان مجتمعنا باكمله يعتمد على اساس موبوء من الزيف .

اصوات عديدة (بدهشة وبصوت مرتفع) ـ ماذا يقول ؟

العمدة ـ اشارة كهذه ـ !

اسلاكسن (ويده على الجرس) ـ ينبغي ان ادعو المتكلم الى تعديل عباراته .

الدكتور ستوكمان ـ لقد احببت بلدتي كما يحب كل رجل مرابع صباه من غير بد . لم اكن كبيرا عندما غادرت بلدتنا ، ولكن الفراق ، وحب الوطن ، والذكرى القت ، جميعا سحرا على المكان واهله .

(مديح وصيحات استحسان .) ثم سجنت عدة سنوات في حجر رهيب ، بعيدا في الشمال . وعندما شرعت في العمل بين الناس المبعثرين هنا وهناك في الصحراء الصخرية ، بدا لي اكثر من مرة ، انه كان من الافضل لتلك المخلوقات البائسة الجائعة ان يكون لها طبيب بقر يرعاها ، بدلا من رجل مثلي .

(تمتمات في الغرفة .)

بيليغ (يضع قلمه) . فلاضرب حتى الموت ان اكن قد سمعت قط ـ !

هوفستاد ـ اية اهانة لاولئك الفلاحين المحترمين !

الدكتور ستوكمان ـ روبدك ! ـ لااظن ان هنالك من يستطيع ان يؤنبني لنسيان بلدتي وانا هناك . لقد رقدت مثل بطة قطبية ، وما فقدمة كان ـ خطة الحمامات (مديح واحتجاج) . واخيرا وعندما هيا القدر لي السعادة الكبرى بعودتي لبلدتي ثانية ـ عندئذ ، ايها المواطنون، بدا لي انه ليس لي الا رغبة واحدة في العالم . نعم رغبة توافق ،دائمة ملتهبة لان اخدم مسقط راسي واهله .

العمدة (محملقا في الفراغ) . لقد اخترت طريقة غريبة للقيام بذلك ـ اهم !

الدكتور ستوكمان ـ وهكذا شرعت في العمل مبتهجا باوهامي السعيدة ! ولكن امس صباحا ـ كلا ، في الحقيقة منذ ليلتين ـ فتحت عيون العقل واسعة ، واول مارايت كان غباء السلطات الفاحش .

(ضجة ، وصيحات ، وضحك . تسعل السيدة ستوكمان عدة مرات .)

العمدة ـ حضرة الرئيس !

اسلاكسن (يقرع الجرس) . بحكم مركزي ـ !

الدكتور ستوكمان ـ من التفاهة ان تقاطعني من اجل كلمة ، سيد اسلاكسن ! انما عنيت اني اصبحت احس بالفوضي الغريبة التي كان قادتنا مسؤولين عنها ، هناك في الحمامات . انا لا اطيق القادة ولو تعرضت حياتي للخطر ـ لقد رايت منهم مايكفي في الماضي . انهم كالغنم في مزرعة جديدة ! يلحقون الاذى في كل مكان . وهؤلاء يسدون طريق الرجل الحر اينما اتجه ـ وكم يسرني لو استاصلناهم كالحشرات الضارة .. (ضجيج في الغرفة .)

العمدة ـ حضرة الرئيس ، هل مثل هذه التعبيرات مباحة ؟

اسلاكسن (ويده على الجرس) . دكتور ستوكمان ـ

الدكتور ستوكمان ـ ولا استطيع ان اتصور كيف انني لم استطع ان استنتج حقيقة هؤلاء السادة الا الان ؟ مع انه يوجد منهم امامي في هذه البلدة نموذج ممتاز اراه كل يوم تقريبا ـ شقيقي بطرس ـ بطيء الفهم ومتصلب في تحيزه ـ (ضحك ، وضجة ، وصفير . تسعل السيدة ستوكمان . اسلاكسن يقرع الجرس بعنف).

السكران (بعد ان دخل مرة ثانية) . هل انا من تتحدث عنه ؟ حتما اسمي بيترسن ؟ ولكن لياخذني الشيطان ان ـ

اصوات غضبى ـ اخرجوا ذلك السكران ! اطردوه ! (يطرد ثانية).

العمدة ـ من هذا ؟

احد الواقفين ـ لااعرفه ، حضرة العمدة .

اخر ـ ليس من البلدة .

ثالث ـ اظنه تاجر خشب من ـ (لايمكن سماع البقية) .

اسلاكسن ـ من الواضح انالرجل سكران . استمر ، دكتور ستوكمان؟ ولكن ارجو ان تحاول ان تكون معتدلا .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ؟ ايها المواطنون ، لن اقول المزيد عن قادتنا . واذا تصور احد ، مما قلته الان ، ان هؤلاء السادة هم من ساقضي عليهم الليلة ، فانه مخطىء ، وبعيد عن جادة الصواب .. فان لدي ايمانا يطمئنني بان هذه الطفيليات ، هذه البقايا من نظام فكري متاكل ، تحز حلاقيمها بنفسها بشكل رائع .انها ليست بحاجة الى طبيب يعجل نهايتها . ولا يشكل هذا الصنف من الناس الخطر الحقيقي على المجتمع ، وهم ليسوا اشد الناس نشاطا في تسميم منابع حياتنا الروحية وتكوين بقعة موبوءة من الارض تحت اقدامنا ؟ انهم ليسوا اشد الاعداء خطرا على الحقيقة والحرية في مجتمعنا .

صيحات من جميع الجهات : من ، اذن ؟ من هم ؟ سمهم ، سمهم !

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، ساسميهم بكل تاكيد ! فهذا هو الاكتشاف العظيم الذي قمت به امس .(بصوت مرتفع .) ان العدو الاشد خطرا على الحرية وعلى الحقيقة بيننا هو الاغلبية المتراصة . نعم ، انه الاغلبية المضطربة ، المتراصة ، المتحررة ـ تلك لا سواها ! هاكم ، لقد اخبرتكم .

(هياج شديد في الغرفة . معظم المستمعين يصيحون ، ويلبطون ، ويصفرون . عدد من الاشخاص المسنين يتبادلون النظرات خلسة ويبدو عليهم السرور . تنهض السيدة ستوكمان قلقة . يتقدم ايلف وموروتن مهددين نحو اولاد المدرسة الذين يضجون . يقرع اسلاكسن الجرس ويدعو للنظام . هوفستاد وبيليغ يتحدثان معا ولكن لايمكن سماع شيء . واخيرا يخيم الهدوء .)

اسلاكسن ـ بصفتي الرئيس ، ادعو المتكلم الى سحب تعبيراته المسيئة .

الدكتور ستوكمان ـ ابدا ، سيد اسلاكسن ! فان هذه الاغلبية بالذات هي التي تسلبني حريتي ، وتريد مني من قول الحقيقة .

هوفستاد ـ الحق دوما الى جانب الاغلبية .

بيليغ ـ نعم ، والحقيقة ايضا ، فلاضرب حتى الموت !

الدكتور ستوكمان ـ ليس الحق الى جانب الاغلبية ابدا . انني اقول ابدا ! تلك هي احدى الاكاذيب الاجتماعية التي يجب ان يثور ضدها الرجل الحر ، المفكر . من يشكل الاغلبية في اي بلد ؟ الحكماء ام المجانين ؟ اظن انه يجب ان نتفق على ان المجانين يشكلون اغلبية مخيفة

ـ التتمة على الصفحة ٥٨ ـ

عـدو الشـعب

تتمة المنشور على الصفحة ٤٣

ومسيطرة ، في كل انحاء العالم . ولكن كيف يمكن ان يكون من حق المجانين ان يتحكموا بالعقلاء ؟ (ضجيج وصيحات عدائية .) نعم ، نعم ، تستطيعون ان تهتفوا بسقوطي ولكنكم لا تستطيعون ان تناقضوا اقوالي. الاغلبية تملك القوة ـ لسوء الحظ ـ واما الحق فلا تملكه . انا على حق ، انا وافراد قليلون على حق . والاقلية دائما على حق . (يتكرر الضجيج) .

هوفستاد ـ هاها ! لقد اصبح الدكتور ستوكمان اريستوقراطيا منذ يوم امس الاول !

الدكتور ستوكمان ـ لقد قلت انه ليس لدي كلام اضيعه عن العصبة الضئيلة ، الضيقة الصدر ، المريضة ، التي ترقد في طريق يقظتنا . ليس للحياة النابضة شان جديد معهم . اني اتكلم عن الاقلية ، عن الافراد منا الذين استوعبوا الحقائق الجديدة ، المبرعمة . هؤلاء الرجال يقفون في المراكز الامامية ، في اقصى المقدمة حتى ان الاغلبية المتراصة لم تلحق بهم بعد ـ وفي مراكزهم يحاربون من اجل الحقائق التي انبثقت من وعي العالم حديثا فلم تجتذب الاغلبية .

هوفستاد ـ اذن فالدكتور ثوري الان !

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، واقسم بالسماوات انني ثوري ، سيد هوفستاد ! سأثور ضد الكذبة القائلة ان الجماهير تحتكر الحقيقة . اي نوع من الحقائق هذا الذي تتكتل حوله الاغلبية ؟ حقائق طاعنة في السن حتى انها غرقت في الخرف . وعندما تصبح الحقيقة بهذا السن ، فانها تكون في طريقها الواضح لتصبح كذبة . (ضحك وصيحات واستهزاء .) نعم ، نعم ، لكم الخيار في ان تصدقوني او لا ، كما تشاؤون ، ولكن الحقائق ليست طاعنة في السن كالمتوشالح كما يظنها بعض الناس . ان الحقائق ذات الطبيعة العادية تعيش ، لنقل كقاعدة عامة ، سبعة عشر او ثمانية عشر عاما ، كحد اقصى ، ويندر ان تعيش اكثر . ولكن الحقائق المعمرة كهذه تذبل دوما بشكل فاضح ، وعندئذ فقط تعترف بها الاغلبية وتقدمها كغذاء صالح للمجتمع . وبوسعي ان اؤكد لكم انه لا يوجد غذاء كثير في هذا النوع من الطعام : واقول هذا كطبيب ، وحقائق الاغلبية هذه جميعا كلحم خنزير مملح من العام الفائت، انها مثل فخذ خنزير نتن عفن ، تسبب كل الاسقربوط الخلقي الذي يفسد المجتمع .

اسلاكسن ـ يبدو لي ان المتحدث المحترم ابتعد كثيرا عن الموضوع .

العمدة ـ اود ان اؤيد ملاحظة الرئيس .

الدكتور ستوكمان ـ لماذا ، انك بالتاكيد مجنون يا بطرس ! انني متقيد ما امكنني بموضوعي ، لان موضوعي بالضبط هو هذا ـ ان الجماهير ، الاغلبية ، اغلبية الشيطان المتراصة ـ انها هي التي تسمم منابع حياتنا الروحية ، وتجعل من الارض تحت اقدامنا منطقة موبوءة .

هوفستاد ـ وهل تطلق هذه التهمة ضد الاغلبية العظيمة ، المستقلة، لمجرد انها تتمتع بالوعي لقبول الحقائق الاكيدة والمعترف بها دون سواها؟

الدكتور ستوكمان ـ آه ، يا عزيزي السيد هوفستاد، تتحدث عن الحقائق الاكيدة ! فالحقائق المعترف بها لدى الجماهير والجموع ، كانت حقائق لحراس الطليعة ايام اجدادنا . ولكننا ، نحن حراس الطليعة اليوم، لا نعترف بها ، ولست اعتقد انه توجد حقيقة اكيدة اخرى سوى هذه ـ لا يستطيع اي مجتمع ان يحيا حياة سليمة على حقائق قديمة كهذه، جف نسغها .

هوفستاد ـ ولكن بدلا من كل هذا الحديث الغامض، سيكون من المفيد ان تعطينا بعض عينات من هذه الحقائق القديمة التي جف نسغها ، والتي نعيش عليها . (استحسان من عدة جهات)

الدكتور ستوكمان ـ استطيع ان اعطيكم عددا لا نهاية له من هذه الحثالات ، ولكني سأقتصر في الوقت الحاضر على حقيقة واحدة معترف بها ، وهي في جوهرها كذبة بشعة ، يعيش عليها السيد هوفستاد ، و « المراسل » وكل مؤيدي « المراسل » على حد سواء .

هوفستاد ـ وهي ـ؟

الدكتور ستوكمان ـ وهي النظرة التي ورثتموها من اجدادكم وتمضون، دون تفكير ، في اذاعتها طولا وعرضا ـ وهي ان الجموع ، القطيع ، الجماهير هي زبدة الشعب ـ وانها تشكل الشعب ، ـ وهي ان الرجل العامي الجاهل ، والعنصر الناقص في المجتمع ، له نفس الحق في ان يقدس وان يدين ، ان ينصح وان يحكم ، تماما كالنخبة المتميزة ذكاء وسموا .

بيليغ ـ حسنا ، فلاضرب حتى الموت ! ـ

هوفستاد (يصرخ في نفس الوقت) . ايها المواطنون ، انتبهوا لهذا، ان سمحتم !

اصوات غضبى ـ هو ـ هو ! السنا نحن الشعب ؟ اهم العظماء فقط الذين لهم ان يحكموا ؟

عامل ـ الى الخارج بمن يقول هذا !

اخرون ـ اطردوه !

مواطن (صائحا) . انفخ في بوقك ، ايفنسن

(يسمع صوت بوق مرتفع ، ضجة وصفير في الغرفة)

الدكتور ستوكمان (بعد هدوء الضجة نوعا ما). والان كونوا عاقلين! الا تستطيعون سماع صوت الحقيقة ولو مرة على سبيل الاستثناء ؟ لا اسألكم جميعا ان توافقوني فورا ، ولكن يجب ان اقول انني توقعت ان يؤيدني السيد هوفستاد حالما يسترد هدوءه . فهو يزعم نفسه مفكرا حرا ـ

اصوات عديدة (باستغراب) ـ هل قال مفكرا حرا ؟ ماذا ؟ السيد هوفستاد مفكر حر ؟

هوفستاد (صارخا) ـ اثبت ذلك ، دكتور ستوكمان ! متى قلت هذا كتابة ؟

الدكتور ستوكمان (مفكرا) ـ كلا انت مصيب هذه المرة ، فما كانت لديك قط الجراة لتفعل ذلك ، حسنا حسنا ، لن اجرحك ، سيد هوفستاد . فلنقل انني انا المفكر الحر اذن . والان سأبين لكم جميعا ، وعلى اسس علمية ايضا ، ان « المراسل » تجركم من انوفكم بشكل مخز، عندما تخبركم انكم انتم ، الجماهير ، الجموع لب الشعب الحقيقي. اقول لكم ان هذه كذبة صحفية فحسب. فالجماهير ليست سوى المادة الخام التي يشكل منها الشعب . (همهمات ، وضحك ، وهيجان في الغرفة .) اليس الامر كذلك في جميع المخلوقات الحية الاخرى ؟ اي فرق بين فصيل مدجن من الحيوانات واخر غير مدجن ! فقط انظروا الى دجاجة في باب مخزن حبوب . اي لحم يحصل عليه المرء من هذه الجثة المعروقة ؟ انه ليس بالكثير ! واي نوع من البيض تبيض ؟ يمكن للغراب

او الفداف المتوسط ان يضع بيضا بمثل جودته . ثم خذوا دجاجة اسبانية او يابانية مدجنة، او خذوا ديكا بريا او ديكا روميا جيدين ـ آه! عندها سترون الفرق !والان انظروا الى الكلب ، صديقنا الحميم . فكروا اولا في جرو عادي عامي ـ اعني واحدا من تلك الهجن التعسة ، الممزقة، الدنيئة التي تتردد على المصارف ، وتوسخ الارصفة . ثم ضعوا هذا الهجين بجانب كلب ذي فراء، تحدر من اجيال عدة من اصل اريستوقراطي وعاش على طعام جيد ، وسمع اصواتا عذبة وموسيقى . الا تعتقدون ان دماغ هذا الكلب ذي الفراء تطور بشكل مختلف عن دماغ الهجين؟ بلى ، تأكدوا من ذلك . ان الكلاب الجيدة التربية من ذوات الفراء هي التي يدربها المشعوذون على القيام بالعاب عجيبة جدا . اما الكلب العادي فلا يستطيع قط ان يتعلم شيئا من هذا النوع ـ ابدا ولو جرب حتى يوم القيامة .

(ضجة وضحك من كل الانحاء)

مواطن (صارخا) ـ اتريد ان تجعل منا كلابا الان ؟

رجل اخر ـ لسنا حيوانات ، دكتور !

الدكتور ستوكمان ـ بلى، ليباركنا الله، ولكننا حيوانات، يا عزيزي! صحيح اننا احسن الحيوانات، ولكن الحيوانات الارستقراطية نادرة ، حتى بيننا . وهناك فرق كبير بين الرجال ذوي الفراء والرجال الهجن ! والمضحك في هذا ان السيد هوفستاد يوافقني تمام الموافقة طالما اننا نتحدث عن الحيوانات ذوات الاربع ـ

هوفستاد ـ هذا صحيح فيما يتعلق بالحيوانات .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا جدا .. ولكن ما ان اطبق المبدأ على الحيوانات ذوات الاثنتين حتى يتوقف السيد هوفستاد . عندها لايجرؤ على استعمال افكاره الخاصة، او على حمل ارائه حتى نهايتها المنطقية؟ عندها يقلب المبدأ رأسا على عقب ، ويعلن في « مراسل الشعب » ان دجاجة مخزن الحبوب وان هجين المصارف هما بالذات افضل ما في معرض الحيوانات . ولكن هذه هي السبيل دوما ، طالما بقيت الغوغائية في نظامكم وطالما انكم لم تشقوا طريقكم بعد الى الامتياز الروحي .

هوفستاد ـ انا لاأتظاهر بأي نوع من الامتياز . انني اتحدر من مزارعين بسطاء ، وانا فخور لان جذوري تنغرس عميقا بين الناس العاميين ، الذين اهينوا هنا .

عامل ـ مرحى لهوفستاد ، مرحى ! مرحى !

الدكتور ستوكمان ـ هذا النوع من العوام الذين اتحدث عنهم ليس موجودا في الطبقات الدنيا فقط ، انهم يزحفون ويتجمعون حولنا ـ حتى اعلى قمم المجتمع . انظروا فقط الى هذا المأفون ،عمدتكم المحترم ! من الواضح ان شقيقي بطرس ينتمي للعوام مثل اي شخص يسير على اثنتين ـ (ضحك وهسهسة) .

العمدة ـ احتج على تلميحات خاصة كهذه .

الدكتور ستوكمان (برباطة جأش) ـ وذلك ليس لانه ، مثلي ، متحدر من قرصان وغد من بوميرانيا او ما حولها ـ فهذا هو اصلنا ـ

العمدة ـ أسطورة سخيفة ! لاأساس لها ابدا ، وانني ارفضها .

الدكتور ستوكمان ـ ولكن لانه يؤمن بمعتقدات رؤسائه الرسميين ويحمل نفس ارائهم ، والذين يفعلون هذا ينتسبون ، من ناحية ذهنية ، الى العوام ؟ وهذا هو السبب في ان شقيقي الممتاز بطرس غير ممتاز في جوهره ـ وبالتالي غير تحرري .

العمدة ـ حضرة الرئيس ـ !

هوفستاد ـ المتحررون اذن هم الناس الممتازون في هذه البلاد ؟ هذا ضوء جديد تماما على الموضوع . (ضحك)

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، هذا جزء من اكتشافي الجديد . وهذا ايضا يليه : ان تحرر الفكر يكاد يكون الاخلاقية بالذات . ولذلك اقول انه لايغتفر « لمراسل الشعب » على الاطلاق ان تعلن ، كل يوم ، تلك النظرية الزائفة القائلة بان الجموع ، الجماهير ، الاغلبية المتراصة ، هي التي تحتكر التحررية والاخلاقية ، ـ وان النذالة والفساد وكل انواع القذارة الروحية تتسرب من الثقافة ، مثلما تتسرب كل تلك القاذورات الى الحمامات من منشآت المدبغة في وادي الطاحون ! (ضجة ومقاطعات يستمر الدكتور برباطة جأش ، مبتسما في حماسة) . ورغم ذلك تستطيع « مراسل الشعب » ان تعظ كل يوم عن ضرورة رفع الجماهير الى مستوى اعلى من الوجود السليم . مستوى الجماهير يعني ، ببساطة قذفهم رأسا الى الفساد ! ولكن ؟ ولحسن الحظ ، فان الفكرة القائلة بان الثقافة تحط من الاخلاق ليست سوى كذبة تقليدية قديمة . كلا ، ان الفباء ، والفقر ، وظروف الحياة البشعة ، هي ماتعمل عمل الشيطان ! فالدار التي لايتغير هواؤها ولا تكنس يوميا ـ وتقول زوجتي ان البلاط يجب ان يفرك ايضا ، ولكن قد يكون هذا تطرفا ، حسنا ـ اقول ، في دار كهذه ، خلال عامين او ثلاثة ،يفقد الناس القدرة على التفكير او العمل بوحي اخلاقي . ان نقص الاوكسجين يضعف الضمير ، ولكن يبدو ان هناك نقصا خطيرا في الاوكسجين في الكثير من الدور في هذه البلدة ، فان الاغلبية المتراصة كلها لديها من الاستهتار مايجعلها ترغب في ان تبني مستقبلها على مستنقع من الخداع والاكاذيب .

اسلاكسن ـ لايسعني ان اسمح لمثل هذه الاهانة السمجة ان توجه لمجتمع بأكمله .

شخص ـ اقترح ان يأمر الرئيس المتكلم بالجلوس .

اصوات متحمسة ـ نعم ، نعم ! ذلك حق ! اجلس ! اجلس !

الدكتور ستوكمان (ينفجر) ـ اذن سأعلن الحقيقة في ناصية كل شارع . سأكتب للجرائد في بلدان اخرى ! ستعرف كل البلاد كيف تسير الامور هنا !

هوفستاد ـ يبدو وكأن غرض الدكتور هو ان يدمر البلدة .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، ان بلدتي عزيزة علي حتى اني افضل ان ادمرها على ان اراها تزدهر على كذبه .

اسلاكسن ـ هذا كلام بشع .

(ضجة وصفير . السيدة ستوكمان تسعل ولكن عبثا ، فالدكتور ينتبه لها .)

هوفستاد (يصرخ بصوت اعلى من الضجة) ـ ان من يدمر مجتمعنا باكمله لا بد له وان يكون عدوا للشعب !

الدكتور ستوكمان (وقد ازدادت ثورته) ـ وما يهم لو دمر مجتمع كاذب ! فليسو بالارض ! كل الذين يعيشون على كذبة ينبغي ان يستأصلوا كالحشرات ! ستنتهون الى تسميم كل البلاد ؟ ستودون بها الى طريق تجعل البلاد كلها تستحق الفناء . واذا ماانتهت الى ذلك ابدا فساقول من كل قلبي : لتفن البلاد ! ليفن كل اهلها !

شخص (في الجمع) ـ انه يتحدث كعدو حقيقي للشعب !

بيليغ ـ فلاضرب حتى الموت ان لم يكن هذا صوت الشعب !

المجتمعون جميعا (صارخين) ـ نعم ! نعم ! نعم ! انه عدو للشعب ! انه يكره بلاده ! انه يكره الشعب كله !

استكسن ـ لقد صدمت ، كمواطن في هذه البلدة وكانسان ، مما قدر لي ان اسمعه الليلة . لقد ازاح الدكتور ستوكمان القناع عن نفسه بطريقة لم اكن احلم بها . وأرى لزاما علي ان أؤيد الرأي الذي عبر عنه الان مواطنون محترمون ، واظن اننا ينبغي ان نصوغ هذا الرأي بشكل قرار . ولذا اقترح مايلي : « يعلن هذا الاجتماع ان طبيب الحمامات الدكتور ستوكمان ، عدو للشعب . »

(عاصفة من الاستحسان والهتافات . يشكل الكثيرون حلقة حول الدكتور ويصرخون عليه ، تنهض السيدة ستوكمان وبيترا . يقاتل ايلف ومورتن اولاد المدارس الاخرين الذين كانوا يصيحون ايضا . ويفعل بينهم بعض الكبار .)

الدكتور ستوكمان (للذين يصيحون) . اه ، يالكم من مجانين !اخبركم ان ـ

اسلاكسن (يقرع جرسه) . ان الدكتور يخرج على النظام في كلامه . يجب ان يتم التصويت الرسمي ؟ ولكن نظرا لبعض المشاعر الشخصية ، فسوف يتم كتابة وبدون اسماء . الديك ورق ابيض ، سيد بيليخ ؟

بيليخ ـ هذا ورق ابيض وازرق ـ

اسلاكسن ـ عظيم ؟ هذا سيوفر الوقت . قسمه جزازات . هكذا . (للمجتمعين) . الازرق يعني لا ، والابيض نعم . وسأدور بنفسي لجمع الاصوات .

(العمدة يترك الغرفة . اسلاكسن وبعض الاخرين يدورون بجزازات الاوراق في قبعات) ..

شخص (لهوفستاد) ـ مابال الدكتور ؟ ماذا يعني هذا كله ؟

هوفستاد ـ لماذا ، انت تعرف اي مخلوق متهور هو .

شخص اخر (لبيليخ) ـ انك تزوره في بيته كثيرا . هل لاحظت ابدا انه كان يشرب ؟

بيليخ ـ فلاضرب حتى الموت ان كنت اعرف ما اقول . ان التودي دائما على الطاولة حين يزورهم اي شخص .

شخص ثالث ـ كلا ، ولكني ارجح انه يجن احيانا .

الشخص الاول ـ هل ترى هناك جنونا في العائلة ؟

بيليخ ـ هذا لايدهشني .

شخص رابع ـ كلا ، انه حقد محض . يريد ان ينتقم لشيء او لاخر .

بيليخ ـ من المؤكد نه كان يتحدث عن زيادة راتبه في يوم سابق ، ولكنه لم يحصل عليها .

الجميع (معا) ـ أهـا ! هذا يفسر كل شيء .

السكران (في الحشد) ـ اريد واحدة زرقاء اريد ! وسآخذ واحدة بيضاء ايضا .

اشخاص عديدون ـ ها قد عاد السكران ثانية ! اطردوه .

مورتن كيل (مقتربا من الدكتور) ـ حسنا ، ستوكمان ، ها انت ترى ماتؤدي اليه حيل شيطانية كهذه .

الدكتور ستوكمان ـ لقد قمت بواجبي .

مورتن كيل (مقتربا من الدكتور) ـ وما الذي قلته عن مدابغ وادي الطاحون ؟

الدكتور ستوكمان ـ لقد سمعت ما قلته ـ ان كل القاذورات تأتي منها.

مورتن كيل ـ وكذلك مدبغتي ؟

الدكتور ستوكمان ـ يؤسفني ان اقول ان مدبغتك هي أسوأ المدابغ جميعا .

مورتن كيل ـ وهل ستذكر هذا في الجرائد ايضا ؟

الدكتور ستوكمان ـ لااستطيع ان اتملق احدا .

مورتن كيل ـ ولكن قد يكلفك هذا غاليا ، ستوكمان ! (يخرج)

شخص بدين (يصعد الى هورستر دون ان ينحني للسيدات) .حسنا حضرة الكابتن ، اذن اعرت بيتك لاعداء الشعب .

هورستر ـ اعتقد انني استطيع ان اتصرف كما اشاء بمالكي الخاص ياسيدي .

الشخص البدين ـ ليس لك اذن اعتراض ان حذوت حذوك ؟

هورستر ـ ماذا تعني ؟ ياسيدي ؟

الشخص البدين ـ ستعرف غدا ! (يستدير ويخرج .)

بيترا ـ اليس هو صاحب سفينتك ، كابتن هورستر ؟

هورستر ـ بلى ، انه السيد فك .

اسلاكسن (يصعد المنبر ، واوراق التصويت في يده ، ثم يقرع الجرس) . ايها السادة ! ينبغي ان اعلن نتيجة التصويت . كل الصوتين ، باستثناء واحد ـ

شاب ـ ذلك السكران !

اسلاكسن ـ باستثناء سكران واحد ، اي ان هذا الجمع من المواطنين يعلن بالاجماع ان الدكتور توماس ستوكمان ، طبيب الحمامات ، عدو للشعب .

(هتافات واستحسان ..) عاشت بلديتنا الطيبة القديمة ! (هتافات). عاش عمدتنا القدير والنشيط ، والذي وضع التحيز العائلي جانبا باخلاص عميق ! (هتافات .) الاجتماع مئته . (ينزل)

بيليخ ـ عاش الرئيس !

الجميع ـ مرحى لاسلاكسن !

الدكتور ستوكمان (بينما تساعده بيترا في ارتداء معطفه) . حسنا هيا بنا ياكاترينا ، تعالوا ياأولاد ! (يمد ذراعه لزوجته) .

السيدة ستوكمان (بصوت منخفض) . دعنا نخرج ياعزيزي من الطريق الخلفية .

الدكتور ستوكمان ـ لاطرق خلفية ، كاترينا ! (بصوت مرتفع) . ستسمعون شيئا من عدو الشعب قبل ان يمضي ساخطا ! انا لست صبورا مثل شخص معين؟ وانا لا اقول:«اني اسامحكم ، لانكم لا تعرفون ما تعملون».

اسلاكسن (يصيح) هذه مقارنة مهينة ، دكتور ستوكمان !

بيليخ ـ فلاضرب ! هذا اكثر مما يستطيع رجل جاد ان يتحمله !

صوت خشن ـ وهو يهددنا الان !

صيحات غضبى ـ لنقذف نوافذه ! اغرقوه في الفيورد !

شخص (بين الجموع) . انفخ في بوقك ، ايفنسن ، انفخ ، انفخ !

(اصوات بوق ، صفير ، صرخات عنيفة . يذهب الدكتور وعائلته نحو الباب . وهورستر يمهد الطريق لهم ..)

الجميع (يصرخون باثرهم وهم يخرجون) . عدو الشعب ! عدو الشعب ! عدو الشعب !

بيليخ (وهو يجمع اوراقه) . فلاضرب حتى الموت ان شربت تودي في بيت ستوكمان الليلة !

(يحتشد الناس نحو الباب ؟ يستمر الصراخ بواسطة اخرين في الخارج ؟ تسمع من الشارع صيحات « عدو الشعب ! عدو الشعب ! »)

الفصل الخامس

غرفة المطالعة في بيت الدكتور . رفوف كتب وخزائن زجاجية فيها مجموعات كتب مختلفة وتمتد حذاء الحائط . في المؤخرة باب يؤدي الى القاعة ، وفي المقدمة ، الى اليسار ، باب غرفة الجلوس . في الحائط الايمن نافذتان ، وكل الواحهما الزجاجية محطمة . وفي منتصف الغرفة توجد طاولة للكتابة ، مغطاة بكتب واوراق ، والغرفة في حالة فوضى .. الزمن : قبل الظهر . يظهر الدكتور ستوكمان وقد ارتدى الروب ، وخفا ، وطاقية ، وهو منحن ينقب بالشمسية تحت احدى الخزائن . ثم يخرج حجرا .

الدكتور ستوكمان (يتكلم عبر مدخل غرفة الجلوس) . كاترينا ، لقد وجدت حجرا اخر !

السيدة ستوكمان (من غرفة الجلوس) . اوه ، انى متأكدة انك ستجد مزيدا منها .

الدكتور ستوكمان (يضع الحجر فوق كومة من الحجارة على الطاولة) سأحتفظ بهذه الحجارة كآثار مقدسة . وسوف يراها ايلف ومورتن كل يوم ، وعندما أموت ستصبح ارثا . (. يبحث تحت خزانة الكتب). ألم ـ ماأسمها والعياذ بالله ، هذه البنت ؟ الم تذهب الى الزجّاج بعد ؟

السيدة ستوكمان (وهي داخلة) ـ بلى ، ولكنه قال انه لا يدري ان كان سيستطيع المجيء اليوم .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، راندينا تعتقد ايضا انه يخشى المجيء بسبب الجيران . (تتكلم نحو مدخل غرفة الجلوس .) ماذا هنالك ، راندينا ؟ ـ حسنا . (تخرج ثم تعود فورا) . هذا خطاب لك ، توماس.

السيدة ستوكمان ـ ممن ؟

الدكتور ستوكمان ـ من صاحب البيت . انه يخطرنا بمغادرة البيت .

السيدة ستوكمان ـ أممكن هذا ؟ انه رجل لطيف جدا ـ

الدكتور ستوكمان (ينظر الى الخطاب) ويقول انه لا يجرؤ الا يفعل ذلك ، وهو لا يرغب في هذا ابدا ، ولكنه لا يجرؤ الا ان يفعله ـ بسبب المواطنين ـ بغض النظر عن الرأي العام ـ انه في مركز التابع ـ ولا يجرؤ على ان يسيء الى رجال ذوي نفوذ ـ

السيدة ستوكمان ـ وهكذا ترى ـ توماس

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، نعم ، اني أرى جيدا ، انهم جميعا جبناء في هذه البلدة ، لا يجرؤ احد ان يقوم بشيء خوفا من الاخرين . (يرمي الخطاب على الطاولة) ـ ولكن هذا كله سواء بالنسبة لنا ، كاترينا سوف نرسم رحلتنا للعالم الجديد ، وعندئذ ـ

السيدة ستوكمان ـ ولكن هل انت واثق ان فكرة الرحيل حكيمة بالاجمال ، توماس ؟

الدكتور ستوكمان ـ وهل تريدين ان ابقى هنا ، حيث شهروا بي كعدو للشعب ، لقد وسموني ، وحطموا نوافذي ! وتذكري ، كاترينا ، انهم ثقبوا بنطلوني الاسود ، ايضا .

السيدة ستوكمان ـ وهو احسن بنطلون عندك يا عزيزي !

الدكتور ستوكمان ـ يجب على المرء الا يرتدي احسن بنطلون له عندما يخرج ليحارب من اجل الحرية والحقيقة . ولكنني لا اهتم كثيرا بالبنطلون ، فبوسعك ان ترقعيه دوما . اما ان يتجرأ الرعاع ، السوقة على مهاجمتي وكأنهم اندادي ـ فهذا ما لن استطيع هضمه طيلة حياتي !

السيدة ستوكمان ـ حقا ، لقد عاملوك معاملة معيبة ، توماس ، ولكن هل هذا سبب كاف لترك البلاد كلها ؟

الدكتور ستوكمان ـ اتظنين ان الرعاع ليسوا بنفس الوقاحة في بلدان اخرى ؟ بل ، انهم كذلك يا عزيزتي، كلهم سواء . ولكن لا تبالي دعي الكلاب تنبح ، ليس هذا اسوأ ما في الامر ، فأسوأ ما في الامر ان كل شخص ، في كل البلاد ، عبد لحزبه . وان كان من المحتمل ان تكون الحال أفضل في الغرب الحر ، فالاغلبية المتراصة ، والرأي العام المستنير، وكل التفاهات اللعينة الاخرى تطفى هناك ايضا . ولكن المجال هناك اوسع منه هنا ، قد يقتلونك ، ولكنهم لايعذبونك ببطء ، انهم لا يضغطون روحا حرة في الملزمة ، كما يفعلون هنا . ثم بامكانك ان تتجنبي كل شيء ، ان قضت بذلك الاحوال . (يمشي جيئة وذهابا) يا ليتني اعرف غابة بكرا او جزيرة صغيرة في البحر الجنوبي للبيع بسعر رخيص ـ

السيدة ستوكمان ـ ولكن الاولاد ، توماس

الدكتور ستوكمان (يتوقف) ـ يا لك من امرأة شاذة ، كاترينا ! اتفضلين ان يشب الاولاد في مجتمع كمجتمعنا ؟ لقد رأيت بنفسك ان نصف السكان مجانين ، وان لم يكن النصف الاخر قد فقد ادراكه ، فذلك لانه يتألف من وحوش ليس لديها ادراك لتفقده .

السيدة ستوكمان ـ ولكن الاقوال غير الحكيمة التي قلتها لها علاقة بالامر ، ياعزيزي .

الدكتور ستوكمان ـ ولكن اليس ماقلته لهم هو الحقيقة ؟ الا يقلبون كل الاراء رأسا على عقب ؟ الا يمزجون الصواب والخطأ معا ؟ الا يزعمون ان الحقائق التي اقولها هي اكاذيب ؟ وأسوأ ماهنالك ان يرى المرء اشخاصا يسمون انفسهم تحرريين ، وهم يختالون مقنعين انفسهم والاخرين انهم اصدقاء الحرية ! هل سمعت في حياتك شيئا كهذا ، كاترينا ؟

السيدة ستوكمان ـ نعم ، انه جنون منهم ؟ ولكن ـ

(تدخل بيترا من غرفة الجلوس)

السيدة ستوكمان ـ اعائدة من المدرسة في هذا الوقت ؟

بيترا ـ نعم ، لقد فصلت .

السيدة ستوكمان ـ فصلت ؟

الدكتور ستوكمان ـ انت ايضا !

بيترا ـ لقد سلمتني السيدة بسك اخطارا ، فرأيت الافضل ان اترك مباشرة .

الدكتور ستوكمان ـ لقد فعلت عين الصواب !

السيدة ستوكمان ـ من كان يظن ان السيدة بسك شريرة بهذا الشكل !

بيترا ـ لقد سلمتني السيدة بسك اخطارا ، فرأيت الافضل ان اترك مدى اسفها . ولكنها قالت انها لاتجرؤ ان تفعل سوى ذلك ـ وهكذا فانا مفصولة .

الدكتور ستوكمان ـ (يضحك ويفرك يديه) ـ لم تجرؤ ان تفعل سوى ذلك ـ مثلها مثل الاخرين ! أوه ، يالها من لذيذة !

السيدة ستوكمان ـ طبعا ، بعد ذلك المشهد الرهيب ليلة امس ـ

بيترا ـ ليس ذلك فحسب . اصغ لي ياأبت ـ

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ؟

بيترا ـ لقد أرتني السيدة بسك ثلاث رسائل على الاقل ، استلمتها هذا الصباح ـ

الدكتور ستوكمان ـ بدون تواقيع ، طبعا ؟

بيترا ـ نعم .

الدكتور ستوكمان ـ انهم لايجرؤون ابدا على كتابة أسمائهم ، كاترينا!

بيترا ـ وجاء في رسالتين منها ان شخصا ما ، كان يتردد على بيتنا كثيرا ، قال في الليلة الماضية انني احمل أراء تقدمية متطرفة في شؤون شتى .

الدكتور ستوكمان ـ ولم تنكري ذلك ،كما ارجو .

بيترا ـ طبعا لا . فانك تعرف ان السيدة بسك نفسها تقدمية في أرائها الى حد ما ، عندما نكون وحدنا معا ؟ اما الان وقد عرف هذا عني ، فهي لم تجرؤ على الابقاء علي .

السيدة ستوكمان ـ شخص ما كان يتردد على بيتنا كثيرا ، ايضا . اليك ما يأتي من كرمك ، توماس .

الدكتور ستوكمان ـ لن نعيش في زريبة خنازير كهذه ! حزمي بما تستطيعين من السرعة ، كاترينا ؟ لنذهب بعيدا ، وكلما اسرعنا كان افضل ...

السيدة ستوكمان ـ هه ! اظن ان هنالك شخصا ما في الممر انظري من ، بيترا .

بيترا (تفتح الباب) ـ أوه ، أهذا انت ياحضرة القبطان هورستر ؟ تفضل .

هورستر (من القاعة) ـ صباح الخير . قلت سأدخل فقط وأسأل عن حالكم .

الدكتور ستوكمان (يصافحه) ـ شكرا ، هذا لطف منك .

السيدة ستوكمان ـ وشكرا لك على مساعدتك لنا في اختراق الجماهير ليلة امس كابتن هورستر .

بيترا ـ وكيف تمكنت من الوصول الى البيت مرة ثانية ؟

هورستر ـ لقد تم هذا على مايرام . وانا قوي الجسم نوعا ما ، كما انك تعرفين ان هؤلاء القوم ينبحون اكثر مما يعضون .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، اليس هذا الجبن الخنازيري غريبا ؟تعال لاريك شيئا ما ! انظر ، هذه هي الحجارة التي قذفونا بها . تأملها ليس فيها اكثر من اثنين من حجم مناسب ، اما البقية فليست سوى حصباء ـ مجرد حصباء ، لقد وقفوا تحت ، وصرخوا ، وأقسموا انهم سيقتلوني ؟ اما بالنسبة لتنفيذ هذا ـ فليس هناك خوف في هذه البلدة !

هورستر ـ عليك ان تحمد حسن طالعك هذه المرة دكتور .

الدكتور ستوكمان ـ هذا ماافعله ، طبعا . الوضع مقبض على كل حال ؟ لانه ان انتهى الى صراع وطني جدي ، فتأكد ان الرأي العام سيلوذ بالفرار ، وستهرب الاغلبية المتراصة من اجل حياتها كقطيع من الخراف ، سيد هورستر . وهذا مايحز في اعماق قلبي . ـ ولكن ياللشيطان ـ انه لجنون مني ان اشعر بشيء من هذا ! لقد دعوني عدوا للشعب ؟ حسنا اذن ، فلاكن عدو الشعب !

السيدة ستوكمان ـ لن تكون كذلك ، توماس .

الدكتور ستوكمان ـ من الافضل الا تكوني شديدة الوثوق بهذا ، كاترينا . فلهذا اللقب الرديء اثر كخدش دبوس في الرئة . وتلك الكلمة اللعينة لا استطيع التخلص منها ؟ لقد غاصت الى اعماق قلبي ؟ وهناك تمكث وتقرض وتمتص كالحامض . ولا تستطيع الماغنيسيا ان تشفيني .

بيترا ـ ينبغي ان تضحك عليهم ، ليس الا ، ابتاه .

هورستر ـ ومع ذلك ، فسيفير الناس رأيهم يوما، دكتور .

السيدة ستوكمان ـ نعم توماس ، هذا مؤكد مثل وقوفك في هذا المكان .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، ربما بعد فوات الاوان . سيحصدون ما زرعوه ! دعهم يستمرون في تمرغهم هنا في حظيرة الخنازير ، ويتعلمون الندم على طردهم شخصا وطنيا الى المنفى . متى ستبحر ، حضرة القبطان ؟

هورستر ـ حسنا ، هذاهوفي الواقع ماجئت احدثك بشأنه ـ

الدكتور ستوكمان ـ هل حل عطب بالسفينة ؟

هورستر ـ لا ، ولكن في الحقيقة ، لن اسافر فيها .

هورستر ـ (مبتسما) ـ نعم ، فصلت .

الدكتور ستوكمان ـ هل فصلت من عملك ؟

بيترا ـ وانت ايضا !

السيدة ستوكمان ـ اترى ، توماس !

الدكتور ستوكمان ـ ومن اجل الحقيقة ! لو فكرت في احتمال كهذا ـ

هورستر ـ ينبغي الا يضايقك فصلي ؟ فسرعان ماأجد وظيفة مع شركة اخرى ، في مكان اخر .

الدكتور ستوكمان ـ اهذا هو فيك ! الرجل الثري ، المستقل بعمله باللعار !

هورستر ـ انه رجل ممتاز ؟ لقد اخبرني بنفسه انه كان سيبقى علي بسرور لو انه تجرأ ـ

الدكتور ستوكمان ـ ولكنه لم يجرؤ ؟ طبعا لا !

هورستر ـ وقد قال ان المسألة ليست بسيطة ، فعندما ينتمي المرء الى حزب ـ

الدكتور ستوكمان ـ لقد اصاب كبد الحقيقة ! فالحزب مثل السجن ؟ وهي تسحق كل الادمغة معا في خبيصة واحدة ؟ ولذا لانرى حولنا سوى رؤوس من العصيدة ورؤوس من الثريد !

السيدة ستوكمان ـ اصبت ، ياعزيزي !

بيترا (الى هورستر) ـ ليتك لم تصحبنا حتى البيت ، فلربما ماحل بك هذا .

هورستر ـ لست بنادم على ذلك !

بيترا (تمد يدها) ـ شكرا لك على ذلك

هورستر (مخاطبا الدكتور ستوكمان) ـ ثم اود ان اخبركم بانني فكرت بطريقة اخرى ـ اذا كنتم حقا مصممين على مغادرة البلاد ـ

الدكتور ستوكمان ـ هذا حسن ـ فقط لو اننا نستطيع ان ننجو بسرعة ـ

السيدة ستوكمان ـ صه ! ألا تسمع نقرا ؟

بيترا ـ اظنه عمي .

الدكتور ستوكمان ـ أها . (ينادي) تفضل !

السيدة ستوكمان ـ عدني ياعزيزي توماس ـ

(يدخل العمدة من القاعة) .

العمدة (في المدخل) ـ اوه ، انكم مشغولون . فالافضل اذن ـ

الدكتور ستوكمان ـ لا ، لا ؟ ادخل .

العمدة ـ ولكني اردت ان اتحدث اليك على انفراد .

السيدة ستوكمان ـ بامكاننا ان نذهب الى غرفة الجلوس .

هورستر ـ اما انا فسأعود فورا .

الدكتور ستوكمان ـ لا ، لا ، اذهب مع السيدات ، سيد هورستر ؟ يجب ان اسمع المزيد عن ـ

هورستر ـ حسنا ، سانتظر اذن ـ

(يتبع السيدة ستوكمان وبيترا الى غرفة الجلوس . لايقول العمدة شيئا ولكنه يوجه نظراته الى الشبابيك .)

الدكتور ستوكمان ـ ربما توجد تيارات هوائية هنا اليوم ؟ ارتد فبعتك .

العمدة ـ شكرا ان كان لي ذلك . (يرتديها) اظنني اصبت بزكام مساء امس .. لقد كنت ارتجف ـ

الدكتور ستوكمان ـ احقا ؟ لقد وجدتها دافئة جدا .

العمدة ـ يؤسفني انني لم استطع منع ماحدث من تطرف مساء امس .

الدكتور ستوكمان ـ الديك شيء اخر تقوله لي على التحديد ؟

العمدة (يقدم له رسالة كبيرة) ـ هذه الوثيقة لك ، من لجنة الحمامات .

الدكتور ستوكمان ـ فصلي ؟

العمدة ـ نعم ؟ من تاريخ هذا اليوم . (يضع الرسالة على الطاولة) نحن أسفون كثيرا ـ ولكننا ، بصراحة ، لم نجرؤ ان نفعل سوى ذلك ، بسبب الرأي العام .

الدكتور ستوكمان (مبتسما) ـ لم نجرؤ ؟ سبق وسمعت هذه العبارة هذا اليوم .

العمدة ـ ارجو ان تقدر موقفك بشكل واضح . فبالنسبة للمستقبل لايمكنك ان تعتمد على ممارسة عملك في البلدة .

الدكتور ستوكمان ـ ليذهب العمل الى الجحيم ! ولكن كيف يمنكك التاكد من هذا ؟

العمدة ـ ستعمم جمعية ملاكي الدور عريضة على كل البيوت ، تدعو فيه كل المواطنين العاقلين الى عدم التعامل معك ، واؤكد لك انه لايوجد رب عائلة واحدة يخاطر بان يرفض التوقيع ؟ فهم لايجرؤون .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، حسنا ، لاأشك في ذلك . ولكن ماالذي تراه اذن ؟

العمدة ـ اذا كان لي ان انصح ، فاني اقترح عليك ان تغادر البلدة فترة ـ

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، لقد راودتني هذه الفكرة من قبل .

العمدة ـ حسنا ، وبعد ستة اشهر او مايقاربها من التامل الناصح، ربما يكون في وسعك ان تقرر بان تعترف بخطئك ، معتذرا ببضع كلمات.

الدكتور ستوكمان ـ ربما يمكن ان اوظف من جديد ، اليس كذلك ؟

العمدة ـ ربما لايكون هذا مستحيلا .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، ولكن الراي العام ؟ فانتم لاتجرؤون بسببه .

العمدة ـ الراي العام قابل للتغيير ،الى حد بعيد . ولاقل لك بصراحة ، انه من اشد الامور اهميةلنا ان نحصل على ذلك الاعتراف بيدك .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، ربما كان هذا يلائمكم كثيرا ! ولكن تذكر ماقلته من قبل عن حيل الثعالب هذه !

العمدة ـ كان مركزك ، فيذلك الحين ، اكثر تشجيعا لك ، لقد كنت تظن ان البلدة كلها تقف وراء ظهرك ـ

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، اما الان فالبلدة كلها على ظهري ـ (متأججا) . ولكن لا ـ لا ولو كان الشيطان وامه على ظهري ـ ! ابدا ابدا ، اني اخبرك !

العمدة ـ ليس لرب العائلة ان يتصرف كما تتصرف . ليس لك الحق في عملك ذلك ، توماس .

الدكتور ستوكمان ـ انا ليس لي حق ! شيء واحد فقط في العالم ليس للرجل الحر حق في ان يقوم به ، وهل تعرف ماهو ؟

العمد ـ كلا .

الدكتور ستوكمان ـ طبعا لا ، ولكني سأخبرك . ليس للرجل الحر الحق في ان يتمرغ في القاذورات كالجرذ ! ليس له الحق في ان يتصرف بحيث يتوجب عليه ان يبصق في وجه نفسه !

العمدة ـ يبدو هذا مقبولا الى ابعد الحدود ! واذا لم يكن هناك تفسير اخر لعنادك ـ ولكن نحن جميعا نعرف انه يوجد ـ

الدكتور ستوكمان ـ ماذا تعني بذلك ؟

العمدة ـ انت تعرف ما اعنيه تمام المعرفة . ولكني ، كشقيق لك وكرجل خبر الدنيا ، احذرك من ان تعتمد اكثر مما ينبغي على مطامح وآمال يحتمل كثيرا الا تؤدي الى شيء .

الدكتور ستوكمان ـ ماذا ، ماالذي ستتوصل اليه ؟

العمدة ـ احقا تريدني ان اصدق انك تجهل شروط وصية مورتن كيل العجوز ؟

الدكتور ستوكمان ـ اعرف ان القليل الذي يملكه سيؤول الى بيت للحرفيين المسنين المعوزين . ولكن مالي ولهذا ؟

العمدة ـ اولا ان القليل الذي يملكه ليس بالشيء التافه . مورتن كيل ثري نوعا ما .

الدكتور ستوكمان ـ ليست لي فكرة عن هذا !

العمدة ـ احم ـ حقا ؟ اذن يمكن الافتراض انه ليست لديك فكرة بان جزء لايستهان به سيؤول الى اولادك ، وان لك ولزوجتك نصيبا مدى الحياة فيه . الم يخبرك بذلك ؟

الدكتور ستوكمان ـ كلا ، وبشرفي ! وبالعكس ، لم يخبرني سوى انه متذمر من كونه مثقلا بالضرائب بشكل لايتصوره العقل . ولكن هل انت متاكد مما قلته ، بطرس ؟

العمدة ـ لقد عرفته من مصدر موثوق تماما .

الدكتور ستوكمان ـ يالللسماء اذن كاترينا لها من يعولها ـ والاولاد ايضا ! يجب ان اخبرها ـ (ينادي) . كاترينا ، كاترينا !

العمدة (يمنعه) ـ صه ! لاتقل شيئا بهذا الشأن بعد .

السيدة ستوكمان (تفتح الباب) ـ ما الامر ؟

الدكتور ستوكمان ـ لاشيء ياعزيزتي ؟ ادخلي ثانية . (السيدة ستوكمان تغلق الباب) .

الدكتور ستوكمان (يمشي جيئة وذهابا) ـ لها من يعولها ! فقط تصور ـ كلهم لهم من يعولهم ! ومدى الحياة ! وعلى كل حال ، فشيء عظيم ان يشعر المرء بانه مطمئن !

العمدة ـ نعم ، ولكن وضعك عكس ذلك تماما .. فان مورتن كيل يستطيع الغاء وصيته متى شاء .

الدكتور ستوكمان ـ ولكنه لن يلغيها ، ياعزيزي . فالغريراء شديد السرور لانه يراني في شقاق معك ومع اصدقائك مدعي الحكمة .

العمدة (يجفل وينظر اليه متفحصا) ـ أها ! هذا يلقي ضوءا جديدا على اشياء عديدة هامة .

الدكتور ستوكمان ـ أية اشياء ؟

العمدة ـ فالامر كله اذن مؤامرة مدبرة بعناية . هجومك بعنف وبلا مبالاة ـ باسم الحقيقة ـ على قادة البلدة ـ

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، وما شأن ذلك ؟

العمدة ـ لم يكن الامر سوى ثمن متفق عليه سابقا لوصية مورتن كيل ، ذلك العجوز الموتور .

الدكتور ستوكمان (وقد كاد يفقد المقدرة على النطق) ـ بطرس ـ انت احقر من عرفت في حياتي .

العمدة ـ لقد انتهى كل شيء بيننا ، فصلك لايمكن نقضه ـ فلدينا الان سلاح ضدك .. (يخرج)

الدكتور ستوكمان ـ يالله ! يالله ! (ينادي) كاترينا . يجب ان تفرك الارض وراءه ! قولي لها ان تأتي هنا ومعها سطل ـ مااسمها ؟ عليها اللعنة ـ البنت التي على انفها قبعة ـ

السيدة ستوكمان (في مدخل غرفة الجلوس) ـ صه ، صه توماس !

بيترا (ايضا في المدخل) ـ أبتاه ، لقد جاء جدي ، وهو يريد ان يعرف ان كان يستطيع انيتحدث اليك على انفراد .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، انه يستطيع ذلك . (قرب الباب) . تفضل عماه .

(يدخل مورتن كيل . يغلق الدكتور ستوكمان الباب وراءه) .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، ماذا هنالك ؟ اجلس .

مورتن كيل ـ لااريد ان اجلس (يلتفت حوله) يبدو المكان منعشا اليوم ، ستوكمان .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، الا ترى ذلك ؟

مورتن كيل ـ بالتأكيد . ويوجد الكثير من الهواء الطلق ايضا ؟ ولديك كفايتك من ذلك الاكسجين الذي كنت تتحدث عنه امس . لابد ان ضميرك اليوم ليس له مثيل ، فيما اعتقد .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ،انه كذلك .

مورتن كيل ـ هذا ماأظنه . (ينقر على صدره) ولكن هل تعرف ماذا يوجد هنا ؟

الدكتور ستوكمان ـ ضمير طيب ، ايضا ، كما اعتقد .

مورتن كيل ـ بوه ! بل شيء افضل من ذلك بكثير (يخرج دفتر جيب كبير ، ويفتحه ، ويري ستوكمان رزمة من الاوراق) .

الدكتور ستوكمان (ينظر اليه بدهشة) ـ اسهم في الحمامات !

مورتن كيل ـ لم يكن من الصعب الحصول عليها اليوم .

الدكتور ستوكمان ـ وهل ذهبت واشتريت هذه ـ ؟

مورتن كيل ـ اشتريت منها بكل مامعي من نقود .

الدكتور ستوكمان ـ ولماذا ، ياسيدي ـ حين تأزمت الامور على هذا النحو المقنط في الحمامات ـ

مورتن كيل ـ اذا تصرفت بحكمة ، فانك تستطيع ان تعيد الحمامات على مايرام ثانية .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، انك ترى بنفسك انني اعمل كل مااستطيع . ولكن اهل هذه البلدة مجانين !

مورتن كيل ـ لقد قلت امس ان اسوأ القاذورات تأتي من مدبغتي . والان اذا كان هذا صحيحا فان جدي ، ووالدي من قبلي ، وانا بنفسي ، كنا لسنوات عديدة نسمم البلدة بالقاذورات ، وكاننا شياطين مدمرة . هل تظنني اسكت على اتهام كهذا ؟

الدكتور ستوكمان ـ لاحيلة لك في ذلك ، لسوء الحظ .

مورتن كيل ـ لا ، اشكرك . اني شديد الحرص على سمعتي الطيبة. لقد سمعت ان الناس يدعونني « الفريراء » والفريراء نوع من الخنازير ، اعرف هذا ، ولكني مصمم على ان ارد الكذبة اليهم . سأعيش واموت رجلا نظيفا .

الدكتور ستوكمان ـ وكيف ستنجح في ذلك ؟

مورتن كيل ـ انت ستجعلني كذلك ، ستوكمان .

الدكتور ستوكمان ـ انا !

مورتن كيل ـ اتعلم بأية نقود اشتريت هذه الاسهم ؟ لا ، ليس في وسعك ان تعرف ، ولكني سأخبرك . انها النقود التي ستأخذها كاترينا وبيترا والاولاد بعد موتي .. لانني قد ادخرت شيئا ، كما لايخفى عليك ..

الدكتور ستوكمان (متأججا) ـ واخذت نقود كاترينا لتشتري بها هذه !

مورتن كيل ـ نعم ، كلها تستثمر الان في الحمامات . والان اريد ان اعرف اذا كنت مجنونا الى هذا الحد ، جنونا مطبقا ، وعلى اية حال ، اذا مضيت في القول ان هذه الوحوش والقاذورات الاخرى تقطر من مدبغتي ، فان عملك يكون تماما مثل سلخ شرائح من جلد كاترينا ـ وبيترا ايضا ، والاولاد . لاب محترما يمكن ان يفعل ذلك ـ الا اذا كان مجنونا .

الدكتور ستوكمان (يمشي جيئة وذهابا) ـ نعم ولكن انا مجنون ، انا مجنون .

مورتن ـ من المؤكد انه لايمكنك ان تهذي بهذا الشكل ، وان تكون مجنونا هائجا حين يتعلق الامر بزوجتك واولادك .

الدكتور ستوكمان (يقف امامه) ـ لماذا لم تحدثني قبل ان تذهب وتشتري كل تلك النفايات ؟

مورتن كيل ـ ماتم عمله لايمكن نقضه .

الدكتور ستوكمان (يسير باضطراب) ـ ليتني لم اكن متأكدا تمام التأكد من الامر ـ ! ولكني مقتنع بشكل مطلق انني مصيب .

مورتن كيل (يشير الى دفتر الجيب في يده) ـ ان تمسكت بهذا الجنون ، فان هذه لن تساوي كثيرا . (يضع الدفتر في جيبه)

الدكتور ستوكمان ـ ولكن ، ياللشيطان ! انه ينبغي للعلم ان يتمكن من العثور على ترياق ما ، نوع مامن الوقاية ـ

مورتن كيل ـ هل تعني شيئا لقتل الوحوش ؟

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، او على الاقل لجعلها عديمة الاذى .

مورتن كيل ـ أليس بامكانك ان تستعمل سم الفار ؟

الدكتور ستوكمان ـ هراء ، هراء ! ـ ولكن كل شخص يعلن ان الامر ليس الا وهما ، فليكن وهما ! ليفهموه على طريقتهم الخاصة ! ألم تشتمني الكلاب الجاهلة المتحيزة كعدو للشعب ؟ ـ أولم يوشكوا ان يمزقوا ملابسي ؟

مورتن كيل ـ وقد هشموا لك نوافذك ايضا !

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، وبعدئذ هناك واجب المرء نحو عائلته ! ـ يجب ان اتحدث في هذا مع كاترينا ، فهذا شيء اقرب لشؤونها .

مورتن كيل ـ هذا حق ! انك تتبع نصيحة امرأة عاقلة .

الدكتور ستوكمان (يلتفت اليه بغضب) ـ ولكن كيف امكنك ان تتصرف بهذا الشكل الذي لايقبله العقل ! مخاطرا بنقود كاترينا ، وواضعا اياي في هذا العذاب المخيف ! عندما انظر اليك ، يبدو وكانني

ارى الشيطان نفسه ـ

مورتن كيل ـ يستحسن ان اذهب اذن . ولكن يجب ان تخبرني، بنعم او بلا ، عند الساعة الثانية . فان اجبت بلا فسنؤول الاسهم كلها الى المستشفى ـ وفي هذا اليوم بالذات .

الدكتور ستوكمان ـ وماذا ستنال كاترينا ؟

مورتن كيل ـ لا شيء اطلاقا .

(يفتح الباب المؤدي الى القاعة . يظهر هوفستاد واسلاكسن خارجه) . اهلا ! انظر الى هذين الاثنين .

الدكتور ستوكمان (يحملق فيهما) ـ ماذا ! هل لكما الجراة للمجيء الى هذا المكان ؟

هوفستاد ـ بالتاكيد .

اسلاكسن ـ لدينا شيء نبحثه معك .

مورتن كيل (هامسا) ـ نعم او لا ـ عند الساعة الثانية .

اسلاكن (ينظر الى هوفستاد) ـ اهـا ! (يخرج مورتن كيل)

الدكتور ستوكمان ـ ماذا تريدان مني ؟ باختصار .

هوفستاد ـ ادرك تماما انك تستنكر موقفنا في الاجتماع امس ـ

الدكتور ستوكمان ـ تقول موقفكما ؟ نعم ، لقد كان موقفا لطيفا ! وانا ادعوه موقف الجبناء ـ والعجائز ـ موقفا مخزيا !

هوفستاد ـ ادعه ماتشاء ، ولكننا لم نستطع القيام بغير ذلك .

الدكتور ستوكمان ـ لم تجرؤا ، فيما اعتقد ؟ اليس كذلك ؟

هوفستاد ـ نعم ، ان راق لك هذا التعبير .

اسلاكسن ـ ولكن لماذا لم تقل لنا مجرد كلمة منذ البداية ؟ مجرد تلميح للسيد هوفستاد او لي ـ

الدكتور ستوكمان ـ تلميح ؟ عم ؟

اسلاكسن ـ عما كان بالفعل وراء ذلك كله .

الدكتور ستوكمان ـ لم افهم ابدا .

اسلاكسن (يومىء بشكل خفي) ـ بلى ، انك تفهم ، دكتور ستوكمان .

هوفستاد ـ ليس من المفيد كتمان الامر بعد الان .

الدكتور ستوكمان (ينقل الطرف من الواحد للاخر) ـ ماذا ، باسم الشيطان ـ !

اسلاكسن ـ هل لي ان اسال ـ الا يجوب عمك البلدة ليشتري كل اسهم الحمامات ؟

الدكتور ستوكمان ـ بلى ، لقد كان اليوم يشتري اسهم الحمامات ولكن ـ

اسلاكسن ـ لو جعلت شخصا اخر يقوم بذلك لكان افضل ـ شخصا ما ليست له مثل هذه القرابة الوثيقة بك ..

هوفستاد ـ ثم لم يكن ينبغي لك ان تكون قد ظهرت في الميدان باسمك الخاص . لم يكن ينبغي لاحد ان يعرف ان الهجوم على الحمامات جاء من طرفك . كان ينبغي ان تجعلني من مستشاريك ، دكتور ستوكمان .

الدكتور ستوكمان (يحملق امامه مباشرة ، يبدو وكان ضوءا يقع عليه ، ويقول وكانه صعق) ـ اهذا ممكن ؟ ايمكن ان تحدث اشياء كهذه ؟

اسلاكسن (مبتسما) ـ من الواضح تماما انها تحدث . ولكن ينبغي ان تعالج بدقة ، كما لايخفى عليك .

هوفستاد ـ وان يكون فيها اشخاص اكثر ؟ فالمسؤولية تخف كلما كثر عدد الذين يشتركون في تحملها .

الدكتور ستوكمان (بهدوء) ـ بكلمة واحدة ، ايها السيدان ـ ما الذي تريدانه ؟

اسلاكسن ـ السيد هوفستاد اقدر على ـ

هوفستاد ـ لا ، اشرح انت ، اسلاكسن ..

اسلاكسن ـ حسنا ، هذا هو الامر ؟ اما وقد اصبحنا نعرف حقيقة وضع القضية ، فاننا نعتقد ان بامكاننا ان نقامر بوضع « مراسل الشعب » تحت تصرفك الان .

الدكتور ستوكمان ـ بامكانكما ان تقامرا الان ، اه ؟ ولكن ماذا عن الراي العام ؟ الستما خائفين من ان تثيرا العاصفة علينا ؟

هوفستاد ـ يجب ان ننجح في ركوب العاصفة .

اسلاكسن ـ وانت يجب ان تحول التيار فورا ، دكتور . حالما يؤتي هجومك ثماره .

الدكتور ستوكمان ـ حالما اكون وعمي قد اشترينا كل الاسهم بثمن بخس ، اليس كذلك ؟

هوفستاد ـ اعتقد انك تريد ان تقبض على ادارة الحمامات بيديك لاسباب علمية ، بالدرجة الاولى .

الدكتور ستوكمان ـ طبعا ، فعلى اسس علمية اردت ان يعضدني الفريراء المجوز . وبعدئذ سنرفع منشات المياه قليلا ، ونعبث قليلا بالشاطيء ، دون ان نكلف البلدة ستة قروش . وبذلك ينتهي كل شيء! آه ؟ هوفستاد ـ اظن ذلك اذا كانت « المراسل » تدعمك .

اسلاكسن ـ الصحافة قوة في المجتمع الحر ، دكتور .

الدكتور ستوكمان ـ فعلا ، وكذلك الراي العام . وانت سيد اسلاكسن ـ اظنك تضمن جمعية ملاكي الدور .

اسلاكسن ـ جمعية ملاكي الدور وجماعة منع المسكرات . كن مطمئنا .

الدكتور ستوكمان ـ ولكن ايها السادة ـ حقا انني اخجل من ذكر شيء كهذا ـ ولكن مقابل ماذا ؟

هوفستاد ـ بالطبع ، يستحسن ان ندعمك بدون مقابل . ولكن « المراسل » غير راسخة الاركان ، وهي تتقدم كما ينبغي لها ؟ وسوف يؤسفني ان اضطر لايقاف الجريدة في هذا الوقت بالذات ، حين يكون هناك كثير جدا مما ينبغي عمله في السياسة العامة .

الدكتور ستوكمان ـ طبعا ، سيصعب ذلك على صديق للشعب مثلك (متاججا) . اما انا ـ فانا عدو الشعب ! (يسير بخطى واسعة حول الغرفة) . اين عصاي ؟ اين عصاي ، ياللشيطان !

هوفستاد ـ ماهذا ؟

اسلاكسن ـ انك بالتاكيد لاتعني ـ

الدكتور ستوكمان (يقف ساكنا) ـ ولنفرض اني لم اعطكما قرشا واحدا من كل اسهمي ؟ يجب ان تتذكرا اننا معشر الاغنياء ، لانحب ان نفارق نقودنا ..

هوفستاد ـ ويجب ان تتذكر ان امر هذه الاسهم يمكن عرضه بطريقتين .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، وانت لمثل ذلك اتيت ؟ اذا لم انقذ«المراسل» فانك ستخلع مظهرا دنيئا على القضية ؟ اني اعتقد انكما تستدرجانني، تغريانني ـ تحاولان خنقي كما يخنق الكلب الارنب !

هوفستاد ـ هذا قانون الطبيعة ـ كل حيوان يقاتل من اجل بقائه ...

اسلاكسن ـ ويجب ان ينال طعامه حيث يقدر ان يجده ، كمالايخفى عليك .

الدكتور ستوكمان ـ اذن اذهبا للبحث عن طعامكما في المصرف ، (يسير حول الغرفة بخطى واسعة) فالان ، ويالللسماء ، سنرى اي حيوان اقوى بيننا ..

(يجد شمسيته ويهزها .) والان ، انظرا ـ !

هوفستاد ـ وهل تقصد ان تهاجمنا ؟

اسلاكسن ـ كن حذرا باستعمال الشمسية .

الدكتور ستوكمان ـ اخرج من النافذة ، سيد هوفستاد .

هوفستاد (قرب باب القاعة) ـ هل جننت ؟

الدكتور ستوكمان ـ اخرج من النافذة ، سيد اسلاكسن ! اقول اقول لك ، اقفز ! وعجل بذلك !

اسلاكسن (يركض حول الطاولة) ـ الاعتدال ، دكتور ، انا لست قو يا ابدا ، انا لا اصمد طويلا ـ (يصرخ) النجدة ! النجدة !

(تدخل السيدة ستوكمان ، وبيترا ، وهورستر من غرفة الجلوس)

السيدة ستوكمان ـ ياللسماء ، توماس ! ماذا ! هنالك ؟

الدكتور ستوكمان (يهز الشمسية) ـ اقفز ، اقول لك اقفز ! الى الخارج في المصرف !

هوفستاد ـ هجوم على بريء ! ادعوك لتشهد ، كابتن هورستر .

(يندفع بعيدا داخل القاعة) ..الممرات

اسلاكسن (مشدوها) ـ ليتني اعرف الممرات في هذا البيت ـ !

دار الآداب تقدم :

مدينة بلا قلب ..

للشاعر العربي

احمد عبد المعطي حجازي

الثمن ليرتان لبنانيتان

صدر حديثا

(يتسلل للخارج من باب غرفة الجلوس) .

السيدة ستوكمان (توقف الدكتور) . والان اكبح نفسك ، توماس !

الدكتور ستوكمان (يلقي الشمسية على الارض) ياالله ، لقد فرا اخيرا ..

السيدة ستوكمان ـ ماذا كانا يريدان منك ؟

الدكتور ستوكمان ـ سأخبرك فيما بعد ، لدي اشياء اخرى افكر فيها الان . (يذهب الى الطاولة ويكتب بضع كلمات على بطاقة) . انظري ، كاترينا : ما المكتوب هنا ؟

السيدة ستوكمان ـ « لا » كبيرة ، مكررة ثلاثا ، ماذا يعني هذا ؟

الدكتور ستوكمان ـ هذاماسأخبرك به فيما بعد ، ايضا (يعطي البطاقة لبيترا) . هاك بيترا ؟ دعي ذات الوجه الملطخ تسرع بهذه الى بيت الفريراء باسرع مايمكن . اسرعي ! (تخرج بيترا من القاعة ومعها البطاقة) .

الدكتور ستوكمان ـ لو لم يزرني مبعوثو الشيطان هؤلاء ! ولكني سأشحذ قلمي ضدهم حتى يصبح منخسا ؟ ولاغمسنه بالضغينة والسم ، ولارشقن محبرتي على جماجمهم .

السيدة ستوكمان ـ انسيت اننا راحلون ، توماس ؟ (تعود بيترا)

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ؟

بيترا ـ لقد ذهبت .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا . هل قلت راحلون ؟ علي اللعنة انرحلنا سنمكث حيث نحن ، كاترينا !

بيترا ـ نمكث !

السيدة ستوكمان ـ هنا في البلدة ؟

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، هنا ! ساحة المعركة هنا ! ويجب ان تخاض المعركة هنا ، هنا سأنتصر ! وحالما تصلحين بنطلوني فسأخرج للبلدة وابحث عن بيت ، يجب ان نجد لنا مأوى في الشتاء .

هورستر ـ تستطيعون الاقامة في بيتي .

الدكتور ستوكمان ـ أنستطيع ؟

هورستر ـ ودون اية صعوبة . هناك متسع كاف ، وانا قلما اكون في البيت .

السيدة ستوكمان ـ اوه ، كم هو جميل منك ، ياحضرة القبطان .

بيترا ـ شكرا لك !

الدكتور ستوكمان ـ (يصافحه) . شكرا ، شكرا ! انتهت احدى المتاعب ! والان يمكنني ان اشرع في العمل بجد فورا . لانهاية للعمل الذي يجب القيام به هنا ، كاترينا ! انه لشيء حسن ان يكون كل شيء تحت تصرفي الان ، لانه يجب ان تعلمي انني استلمت اخطارا من هيئة الحمامات ـ

السيدة ستوكمان (متنهدة) ـ نعم ، كنت اتوقع ذلك .

الدكتور ستوكمان ـ والان يريدون حرماني من ممارسة عملي ايضا . ولكن دعيهم ! سيبقى لي الفقراء على اية حال ـ اولئك الذين لايستطيعون الدفع ، ثم ، ياالله ! انهم هم الذي يحتاجوني كثيرا .ولكن اقسم بالسماء ! سأجعلهم يصفون لي ؟ سأعظهم بمناسبة وبدون مناسبة كما يقول المثل .

السيدة ستوكمان ـ كنت اظن تعلمت ما يجره عليك الوعظ الخير ، ياعزيزي .

الدكتور ستوكمان ـ انت فعلا سخيفة ، كاترينا . هل اسمح

لنفسي ان يطردني من الميدان شيء كالراي العام ، والاغلبية المتراصة الى اخر تلك الانواع الشيطانية ؟ كلا ، اشكرك ! والى جانب هذا ، فرايي بسيط جدا ، وواضح جدا ، ومباشر لاريد الا ان افهم هذه الكلاب ان المتحررين هم امهر اعداء يضطر ان يواجههم الاحرار ، والبرامج الحزبية تعصر رقبة الحقائق الحية والشابة ، وان اعتبارات الضرورة تقلب العدالة والاخلاق راسا على عقب ، حتى يصبح من غير الممكن ان يعيش المرء هنا . اسمع يا حضرة القبطان : الا تظن انني ساتمكن من جعل الناس يفهمون ذلك ؟

هورستر ـ ربما ، انا نفسي لااعرف كثيرا في هذه الاشياء .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، انت ترى ـ هذه هي سبيلي الى ذلك ! ان زعماء الاحزاب هم من يجب استئصالهم . ان زعيم الحزب كالذئب تماما ، كذئب مفترس ، يجب ان يبتع عددا معينا من الحيوانات الصغيرة كل سنة ، حتى يقوى على العيش . حسبك ان تنظر الى هوفستاد واسلاكسن ! كم من حيوانات صغيرة تخلصا منها ـ او على الاقل شوهاها او عطلاها ، حتى انها لا تصلح لشيء سوى ان تكون من ملاكي دور مساهمين في « مراسل الشعب ! » (يجلس على حافة الطاولة) . تعالي هنا كاترينا ـ وانظري باية قوة تتالق الشمس هذا اليوم ! وكيف يهب علي نسيم الربيع المبارك المنعش !

السيدة ستوكمان ـ نعم ، فقط لو اننا نستطيع ان نعيش على تالق الشمس ونسيم الربيع ، توماس .

الدكتور ستوكمان ـ سيكون عليك ان تقتري وتوفري وتسدي النواقص وبعدئذ سنعيش على مايرام . هذا لايقلقني كثيرا . ان مايقلقني فعلا هو اني لاارى رجلا حرا ، سامي التفكير لدى يجلعه يجرؤ على اتمام عملي بعدي .

بيترا ـ لاتفكر في ذلك ، ابتاه ، فامامك وقت كاف ـ وانظر ، هاهم الاولاد .. (يدخل الف ومورتن من غرفة الجلوس) .

السيدة ستوكمان ـ هل اليوم عطلة لكم ؟

مورتن ـ كلا ، ولكن تقاتلنا مع الاولاد الاخرين في فترة الاستراحة ـ

ايلف ـ هذا غير صحيح ، فالاخرون هم الذين قاتلونا .

مورتن ـ نعم ، وبعدئذ قال السيد رور لاند ان من الافضل لنا ان نبقى في البيت بضعة ايام .

الدكتور ستوكمان (يقضم اصابعه ويقفز بعيدا عن الطاولة) . الان وجدتها ! الان وجدتها ! اقسم بروحي . لن تطا اقدامكما المدرسة مرة ثانية !

الولدان ـ لن نذهب للمدرسة ابدا !

السيدة ستوكمان ـ لماذا ، توماس ـ

الدكتور ستوكمان ـ ابدا ، لقد قلت ذلك ! ساعلمكما بنفسي ـ اعني لن اعلمكما شيئا مميتا ـ

مورتن ـ مرحى !

الدكتور ستوكمان ـ ولكني ساساعدكما على ان تصبحا رجلين حرين ، سامي التفكير . ـ بيترا ، سيكون عليك ان تساعديني .

بيترا ـ نعم ، ثق انني ساساعدك .

الدكتور ستوكمان ـ وستكون مدرستنا الجديدة في الغرفة التي تشتموني فيها كعدو للشعب ! ولكن يجب ان يكون عندنا تلاميذ اكثر . لابد لي من اثني عشر تلميذا على الاقل لابدا بهم .

السيدة ستوكمان ـ لن تحصل عليهم في هذه البلدة .

الدكتور ستوكمان ـ سنرى . (للولدين) : الا تعرفا اي صبيان شارع اي مشردين محترمين ـ ؟

مورتن ـ بلى ، ياوالدي انني اعرف الكثيرين !

الدكتور ستوكمان ـ هذا حسن ، جئني ببعضهم . ساجرب كلاب الشارع مرة على سبيل الاستثناء ! توجد احيانا ادمغة نادرة بينهم .

مورتن ـ ولكن ماذا علينا ان نفعل عندما نصبح رجالا احرارا سامي التفكير ؟

الدكتور ستوكمان ـ ان تطردوا كل الذئاب الى الغرب الاقصى ، ايها الاولاد !

(الف يبدو متشككا ، بينما يقفز مورتن حوله صائحا « مرحى ! ») .

السيدة ستوكمان ـ هذاانلم تطردك الذئاب ، توماس .

الدكتور ستوكمان ـ وهل جننت ، كاترينا ! ايطردونني ! الان وانا اقوى رجل في البلدة ؟

السيدة ستوكمان ـ اقوى ـ الان ؟

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، وبوسعي ان اقول انني الان اقوى رجل في العالم كله .

مورتن ـ هذا ماقوله ، اية تسلية !

الدكتور ستوكمان (في صوت منخفض) . صه ، يجب الا تتحدثي بشيء عن هذا بعد ، ولكني قمت باكتشاف عظيم .

السيدة ستوكمان ـ ماذا ،اكتشاف اخر ؟!

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، طبعا ! (يجمعهم حوله ويتكلم بشكل سري) . هذا هو ما اكتشفته ، اقوى رجل في العالم هو اكثر الرجال انفرادا .

السيدة ستوكمان (تهز راسها مبتسمة) . اه ، ياعزيزي توماس ـ !

بيترا (تمسك يديه بمرح) . ابتاه !

انتهت

ترجمة عصام صفدي

صدر حديثا

الخندق العميق

رواية

بقلم الدكتور سهيل ادريس

قصة اسرة تسجل صراع جيلين في لبنان

دار الاداب ـ بيروت